الفياجرا وأخواتها

بين

العلم والدين



د. حسن عوض

٢٠٠٢م

الفياجرا وأخواتها

بين العلم والدين



﴿ ومن آياته أن خلق لكم من
أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة إن في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

صدق الله العظيم

اهـــــــداء

إلى كل زوجين ينشدان

حياة زوجية مستقرة .

د/ حسن عوض
عضو اتحاد الكتاب
بنها فى 15/7/ 2002
ت: 013243679

الفصل الأول

خلق الإنسان ووظيفته في الحياة

اقتضت المشيئة الإلهية خلق الإنسان ليعمر الأرض التى هيأها الله لتكون مستقراً له ومقاماً طوال حياته وليكون خليفة فى الأرض يعبد الله كما أراد خالقه وليس على هواه ورغبته :

* **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [1].**

وتقديم الجن على الإنس فى الخلق لحكمة أرادها الله حين دعا الملائكة وإبليس (وهو من الجن) ليسجدوا لآدم (وهو من الإنس) الذى خلقه الله . سجود تكريم وتشريف لا سجود عبادة ولكنه أبى :

* وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه[2].

وبرر إبليس فعلته وعصيانه لأمر الله بأنه خير من ذلك المخلوق الوافد عليه متصوراً أن النار خير من الطين :

* وإذْ قال ربك للملائكة إنى خالقٌ بشراً من طين *فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين *فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ . استكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ *قال فاخرج منها فإنك

رجيم (مطرود من رحمة الله) * وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين[3] .

ومن هنا كان الصدام الأول والعداوة الأولى بين الشيطان والإنسان وكانت المجاهدة من الإنسان فى طاعة الله حتى لا يلحق بمصير الشيطان المطرود من رحمة الله . واستمرت وستستمر العداوة بين الإنسان والشيطان إلى يوم الدين . ومن هنا اقتضت رحمة الله أن يرسل الأنبياء والمرسلين على فترات متعاقبة من الزمان لهداية الإنسان إلى طريق الرشاد والفلاح والبعد عن اتباع الشيطان وخطواته التى تؤدى إلى الهلاك فى الدنيا والآخرة وقد جاءت الرسل والأنبياء جميعهم برسالة ومضمون واحد :

* يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره [4].

والغرض الرئيسي من عبادة الله هو الطاعة للخَلق والرزّاق والوهّاب جلّ شأنه وعصيان الشيطان العدو الأول والأخير للإنسان فى كل زمان ومكان حيث يزين له الموبقات والشرور والمعاصي التى تستجلب غضب الله فى الدنيا والآخرة :

* ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا (تطيعوا) الشيطان . إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم[5].

ولكنه الشيطان وذريته في كل مكان وزمان يتربص بالإنسان ليوقعه في المعاصي والآثام وحتى يكون مصيره كمصير الشيطان . جهنم وبئس المهاد . ولذا فقد استخدم الشيطان كل أسلحته ليهزم الإنسان بالوسوسة والتزين للمعاصي والتشكيك في عقاب الله والحساب في الآخرة والنزغ بين الناس فتزداد بينهم العداوة والبغضاء وتشتعل بينهم المعارك والحروب والصد عن سبيل الله وعن الصلاة والذكر وإشاعة القنوط واليأس من رحمة الله بل والتطاول على ما قدّر الله لخلقه من الفقر والمرض والابتلاءات المختلفة التي يمتحن بها الله الإنسان ليميز الخبيث من الطيب والعاصي من الطائع والجاحد من الشاكر الحامد .

ورغم كل تلك الأسلحة والوسائل التي يستخدمها الشيطان مع الإنسان فإن كيد هذا الشيطان يكون ضعيفاً إذا ما لجأ الإنسان لجناب الله واستعاذ به من الشيطان .

* إن كيد الشيطان كان ضعيفا[6] .

* إنه (الشيطان) ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون[7] .

وبين الله القضية بجلاء حيث يقول ﷻ :

* الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً . والله واسع عليم[8].

*يعدهم ويمنيهم . وما يعدهم الشيطان إلا غرورا[9].

وحتى لايدعي مدعٍ أن الشيطان ذو سلطان قاهر لا يملك مقاومته فإن الله يبين أن من أطاعه والتزم بشرعه وتعاليم الدين الذي أرسله هداية للناس فإن الشيطان لن يتمكن منه أبداً :

*واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجلِك (بأعوانك) وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم . وما يعدهم الشيطان إلا غروراً *إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . وكفى بربك وكيلا[10].

والتحذير الإلهي من اتباع الشيطان هو في صالح الإنسان الذي أراد الله له أن يعمر الأرض على مقتضى

شرع الله وأن يكون بحق خليفة فى الأرض . عابداً شاكراً حامداً طائعاً لخالقه حتى ينعم بخيري الدنيا والآخرة .

وعودة إلى الخلق الأول للإنسان لنرى حكمة الله ورحمته :

*ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون[11] .

فنجد أن الإنسان الأول (آدم) قد خلقه الله من أديم وتراب الأرض . ثم جعل نسله ينتشر فى شتى بقاع الأرض على مر الزمان وحتى تقوم الساعة :

* **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدةٍ . وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**[12].

أى أن الناس كلهم من أصل واحد . هو آدم الذى خلقه الله من التراب ثم خلق من آدم زوجه (حواء) ثم كان النسل التالي إلى يوم القيامة الكثير من الذكور والإناث لتستمر عمارة الأرض وتستمر وظيفة الإنسان الرئيسية فيها وهى العبادة وحمد الله وإعلاء كلمة التوحيد بأن لا مخلوق سواه سبحانه ولا إله غيره يستحق العبادة والشكر والثناء على شتى النعم التى أولاها للإنسان ليتمكن من الحياة على كوكب الأرض :

* ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين *ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين (الرحم) * ثم خلقنا النطفة علقةً . فخلقنا العلقة مضغةً (قطعة لحم صغيرة) . فخلقنا المضغة عظاماً . فكسونا العظام لحماً . ثم أنشأناه خلقاً آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين(13).

أي أن الخلق الأول كان من التراب ثم كان النسل التالي بعد ذلك ناتجاً من التقاء الذكر بالأنثى ليحدث الحمل على مراحل يتكون فيها الجنين حتى يكتمل نموه ويخرج إلى نور الحياة بعد ذلك متمتعاً بآلاء الله ونعمه لتستمر عمارة الأرض إلى أن تقوم الساعة :

* وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها . إن الله لغفور رحيم (14).

والله تعالى حين خلق آدم فإنه جل شأنه قد خلقه من أديم الأرض أي من شتى بقاع الأرض على اختلاف التربة والمكونات والألوان ولذا فقد جاء النسل متعدد الألوان منها الأصفر (جنوب شرق آسيا) والأحمر (الدول الاسكندنافية) والأبيض (أوروبا وبعض آسيا وشمال أفريقيا) والأسود (أواسط وجنوب أفريقيا وجنوب غربي آسيا) :

* ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمـــرات مختلفاً ألوانها . ومن الجبال جُدَدٌ (ذات ألـــوان متعـددة) بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيبُ (شديد السواد) سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك [15].

وهذا التباين فى الألوان تبعـــه اختـلاف الألسـنة واللغات :

*ومن آيته خلق السماوات والأرض واختـــلاف ألسـنتكم وألوانكم . إن فى ذلك لآيات للعالمين [16].

وتبعا لذلك اختلفت الطبائع والأمزجـــة والعـادات والتقاليد وإن لم تختلف الصفات البشرية مطلقا :

*وأنه أضحك وأبكى [17].

فالضحك عند كل البشر ســـواء والبكـاء كذلـك . وأيضا تناول الشراب والطعام طريقته واحدة والنوم كذلك . ومن ضمن تلك الصفات البشرية التى لا تختلف نتيجة للون أو اللغة أو مكان الإقامة صفة التناسل . تلك الغريزة التـــى أودعها الله فى مخلوقاته التى تحيا على الأرض إلى قيـــام الساعة .

* * * * *

الفصل الثاني

زينةُ الحياة الدنيا

أفاض الله على خلقه بالكثير من النعـــم والـــهبات .
فمن آمن وشكر استحق رضوان الله ورحمته . ومن تنكـــب الطريقَ وكفر وعصى استحق غضب الإله ونقمته . ونعـــم الله لا نستطيع إحصاؤها فمنها على سبيل المثال :

* ألم نجعل الأرض مهاداً (صالحة للاستقرار) * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً * وجعلنا نومكم سباتاً *وجعلنـــا الليل لباساً *وجعلنا النهار معاشاً *وبنينا فوقكم سبعاً شـداداً (السماوات) * وجعلنا سراجاً وهّاجاً (الشمس) * وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً * لنخرج بـــه حبــاً ونباتــاً * وجناتٍ ألفافاً.[18].

* فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنّا صببنا الماء صبا*ثـــم شققنا الأرض شقاً*فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقَضْباً (نبـــات العلف كالبرسيم)* وزيتونا ونخــــلاً * وحدائــق غُلْبــاً * وفاكهـــة وأبّاً * (العشـــب والتبـــن) * متاعـــــاً لكــم ولأنعامكم[19].

* ولقد زينا السماء الدنيا بمصـــابيح (الكواكـــب والنجـــوم والشهب) وجعلناها رجوماً للشياطين[20] .

* هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً (ميسرة ومذللة للمعيشة). فامشوا فى مناكبها (طرقها وفجاجها) وكلوا من رزقه وإليه النشور[21].

* الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون *وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون[22].

* **المال والبنون زينة الحياة الدنيا . والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً[23].**

والحياة الدنيا من مباهجها الثروات التى تحقق للإنسان ما يتمنى وما يرغب.والنسل الذى تنتقل إليه تلك المباهج بعد الوفاة نتيجة تعاقب الأجيال . ولكن ما يبقى فى رصيد الإنسان هو العمل الصالح الذى يُثاب عليه والخَلف الصالح الذى يدعو له وهذا هو منتهى الأمل وقرّة العين وراحة البال والضمير :

* ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرّةَ أعينٍ واجعلنا للمتقين إماما[24].

ذلكم هو دعاء الشاكر الحامد الذى يبغى رحمة ربه ويرجو هدايته فى الدنيا وثوابه فى الآخرة ورضوانه الذى لا يعدِ له شيء.وهو ما نراه حين تأخر العمر بنبى الله زكريا (عليه السلام) دون أن ينجب وينعم بالذرية الصالحة :

* قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإني خفت الموالىَ من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لى من لدنك وليّا (إبنا يليه) *يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيّا(مرضيا عندك)[25].

ونبي الله إبراهيم (عليه السلام) بشّره الله تعالى بميلاد ابنه البكر إسماعيل (عليه السلام) ثم بإسحاق (عليه السلام) :

* رب هب لى من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم (إسماعيل)[26].

* ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذْ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنّا منكم وَجِلون*قالوا لا تَوْجَل إنّا نبشرك بغلامٍ عليمٍ (إسحاق)[27].

ومن قديم والإنسان يسعده أن تكون له ذرية تحمل اسمه ولقب العائلة أو القبيلة وتكون السعادة أكبر حين تحمل

الذرية الكثير من صفات الأب أو ملامحه وطباعه لأن المعنى الكامن فى ذلك هو استمرارية وتوارث الخِلال والسَجايا وهو ما يعنى الخلود . **خلود الذِكْر بعد انعدام خلود الحياة واستحالته** وهو المدخل الذى نفذ منه إبليس لإغواء آدم (عليه السلام) حينما وسوس له :

* فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخُلْدِ وملك لا يبلَى (لاينتهى)[28].

هي إذن الرغبة والغريزة فى الخلود والبقاء أبد الدهر حياً . ولكن الله منح الآجال وقدّر الأعمار وكانت حكمته العظمى أن تتعاقب الأجيال وتتوالى إلى قيام الساعة :

* وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم . إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم [29].

ولولا تعاقب الأجيال وعدم الخلود لكانت حياة البشر على الأرض لا تُطاق ولا يمكن احتمالها . لماذا ؟ لأنه مع تطور البشرية وتقدم الحضارات تتغير الكثير من

المفاهيم والمدارك والاهتمامات والرغبات والهوايات فيحدث التصادم الحتمي بين الأجيال إذا ما التقت . وهو ما نراه جلياً حين يكون الجد قد بلغ من العمر أرذله والأحفاد فى طور الفتوة والشباب . وكلا الجيلين له مفاهيمه الخاصة به ولا يعجبه الجيل الآخر ولا أفكاره . فالجد يعتبر فى نظر الحفيد (دَقّة قديمة) أو عفا عليه الزمن . لماذا ؟ لأنه لا يتطور مع الزمن . وبالطبع فهو غير قادر على التطور ولا حتى قبوله.بل ينعت هذا التطور بالانحلال والإباحية ويصف الحفيد بأنه لم تعد لديه أخلاق أو حياء أو احترام بل منحرف أخلاقيا.وكل هذا أمر طبيعي الحدوث بين الأجيال المختلفة . فما بالنا لو أن الجيل الأول من الإنسانية مازال يحيا بيننا الآن لاتهمناه بالوحشية والتخلف والهمجية ولاتهمنا هو بأننا آبقون ومنحرفون عن فطرة الإنسانية الأولى بما فعله من الرزايا والمعاصي . وفى الأسرة – أو القبيلة – التى يجتمع فيها جيلان أو أكثر نجد الكثير من المشاكل الحياتية التى تنغص على أفراد العائلة كنتيجة طبيعية وحتمية لاختلاف وجهات النظر فى أى أمر من الأمور . فالكبير أصبح يضيق بتصرفات وأقوال الصغير . والصغير لا يبدى احترامه الواجب نحو الكبير وبالتالي

تنتقص وتتلاشى رحمة الكبير بـــالصغير وبـــرّ الصغـــير بالكبير . إذن من حكمة الله البالغـــة أن جعلنـــا خلفـــاء . يخلف بعضنا بعضاً لتستمر الحياة . فتنتقل الخبرات الحياتية العملية والعِلْمية من الكبير إلى الصغير الذى يعمل بـــدوره فى تطوير تلك الخبرات وتطويعها حسب ما يســـتجد مـــن مطالب ورغبات وحسب ما ينتهي إليه الطموح فى الارتقاء وتحقيق ما يعنّ فى الخيال والفكر .

وزينة الحياة الدنيا وعصبها هما المال والبنـــون . فبدونهما لا تستقيم الحياة ولا تستمر . فلو أن النسل قـــد انقطع لتوقف تعاقب الأجيال ولانتهت واســـتحالت عمـــارة الأرض . ولو افتقد الإنسان المال وتواجد النســـل لكـــانت الحياة شقية غير سعيدة نتيجة الفاقة والفقـــر الـــذى يحيـــق بالناس فيمنعهم التمتع بالمباهج ويحرمهم تحقيق الرغبـــات والأماني ويسلبهم الطموح والرقى . وهو ما نراه بوضـــوح فى فترات الركود المالي والاقتصادي حيث تتوقف وتتعـــثر المشاريع التى تعود على المجتمع بالرخاء والوفرة .

وقد ضرب الله لنا المثل فى الوليد بن المغيرة حين منحه المال والبنون فلم يؤمن ولم يشكر بل تمادى فى الكفر .

وتحريض الناس على عدم الإيمان فتوعده الله بالعذاب فـــى الآخرة والخزى والمهانة فى الدنيا :

* ذرنى ومَنْ خلقت وحيداً * وجعلـــت لـــه مـــالاً ممدوداً * وبنين شهوداً * ومـــهدت لـــه تمـــهيدا * ثـــم يطمـــع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * ســـأرهقه صعودا [30] .

والمال والبنون من صور المباهـــاة بيـــن البشـــر . (فالمال) قد يجلب السطوة والسلطان والجاه . و(البنـــون) يمنحون العزوة والقوة :

* وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منـــك مالاً وأعز نفراً [31] .

وطوال حياة الإنسان على الأرض يتعرض للكثـــير من الشهوات التى زينت له فيتمناها دومـــاً ويرغـــب فـــى اقتنائها والاستحواذ عليها وامتلاكها :

* زُيِّن للنـــاس حُب الشهوات من النساء والبنين والقنـــاطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيـــل المســـومة والأنعـــام

والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا . والله عنده حُسْن المآب [32] .

تلكم هي شهوات الدنيا التى يسعى الإنسان دوما إليها لتحقيقها وأولها شهوة النساء . أى الانجذاب للمرأة والرغبة في ممارسة الغريزة والشهوة معها لما فى ذلك من تحقيق الإنجاب وهي الشهوة التالية المذكورة في الآية الكريمة فيحدث التناسل وتجيء الذرية التى تعني تواصل الأجيال واستمرار النوع الإنساني لخلافة الأرض وإعمارها ثم يتطلب الرقى والرخاء أن تكون هناك شهوة حب المال وجمعه وإنفاقه بشتى الطرق ويقاس مردود الثروة وقيمتها إلى ما يمتلكه الإنسان من الذهب والفضة – أو ما يعادلها من العملات – فيقال أن ذلك الرجل ثرى والآخر فقير حسبما يمتلكه الرجلان . ونهم الإنسان نحو شهوتي المال والبنون لا يقف عند حدٍ إلا من رحم الله بما يضعه من قناعة ورضا بما قسمه لعباده وقدّره بحكمته. وحب الثروات وصفها الله بأنه حب الاستحواذ على القناطير المقنطرة من الذهب والفضة كناية عن الكثرة الكثيرة . ويتبع تمتع الإنسان بالثروات أن يمتلك وينعم بباقي الشهوات المذكورة فى الآية الكريمة وهى الخيل المسومة

(فى عصرنـــا الحـــالي الســـيارات المختلفـــة المّوديـــلات والماركات) والأنعـــام (المواشـــي وغيرهـــا) والحـــرث (الأطيان الزراعية والعقارات والأراضي) . وكـــل تلـــك الشهوات من لوازم وزينة وبهجة الحياة الدنيا حيث يصبـــح الطموح فى اقتنائها بمثابة الدافع والمحرض على ممارســـة الأعمال وأداء المهام الشاقة لتحقيق ما تصبو إليه النفـــوس من الشهوات والغرائز . وفى آخر الآية الكريمة يذكّرنـــا الله جل شأنه بأن كل تلك الشهوات هي متـــاع الحيـــاة الدنيـــا وزينتها وزخرفها . وهو المتاع الذى يزول بوفاة الإنســـان فلا ينعـــم به بعد الممات إنما يتركهليكون ميراثاً لمـــن خلفه . ويتبقى الحساب الذى ينتظرنا جميعا فيمـــا إذا كـــان الكسب من حلال وكذا الإنفاق أم من حرام . فإن كان حلالاً فالله عنده حسن المآب والمرجع والثواب . وأما إن كان من حرام فبئس المهاد والمستقر . وهو التحذير الذى يتكرر من الله لنا حتى لا تجرفنا شهوات الدنيا بعيـــداً عـــن الطاعـــة والعبادة . والبركة من الله دائما لمن كان رزقه واكتســـابه حلالاً وإنفاقه كذلك مهما قَلّ الدخل أو قُدِرَ عليه الـــرزق . وليست الكثرة والوفرة تعنـــى أن الله راضٍ عـــن عبـــده .

فالوفرة والتقتير لا علاقة لهما برضوان الله على عبـــاده :

ففي كلا الحالتين هناك ابتلاء وامتحان من الله لعباده فيما يمنحه لهم وما يمنعه عنهم :

* واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة . وأن الله عنده أجر عظيم [33] .

* وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون[34].

فالمقياس والمعيار عند الله هو الطاعة والعمل الصالح والإيمان الصادق . أما كثرة الأموال والثروات أو الذرية فليست بدليل على حب الله لعباده . بل قد يكون فى كثرة الأموال ووفرة النسل النِقّمَة من الله :

*** ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض . ولكن الله ينزل بقدرٍ ما يشاء . إنه بعباده خبيرٌ بصير[35].**

وإمهالِ الله للكافر بوفرة المال والجاه والسلطان والنسل إنما هو ابتلاء وإملاء وليس إهمالاً أو نسيانا :

*** ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم. إنما نملي (نمهل) لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين[36].**

والأمثلة كثيرة أشهرها إمهال الله لقارون أغنى أغنياء العالم إلى يوم القيامة حيث كانت مفاتيح خزائنه – المفاتيح فقط – من الكثرة بحيث يصعب أن يحملها العصبة من الرجال الأقوياء . وبكفره وعصيانه لله جعله الله أمثولة للعالمين ومثلا يُضرب إلى يوم الدين :

* إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم . وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة[37].

ثم كان عاقبته أن خسف الله به الأرض وبكنوزه :

* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين[38].

والله لا يحرم علينا امتلاك الثروات إلا بحقها ولا يحرم جل شأنه التمتع بما اكتسبناه من حلال :

* قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون[39].

فهذه المتع التى يتساوى المؤمن والكافر بالتنعم بها فى الحياة الدنيا إنما هى خالصة للمؤمن الطائع فقط فى الآخرة أما الكافر فلا نصيب له فيها حيث يكون عذاب الله فى انتظاره :

* **وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك . ولا تبتغ الفساد فى الأرض . إن الله لا يحب المفسدين [40].**

* **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً . والعاقبة للمتقين [41] .**

وقد تطور مفهوم الثروة ومعيارها على مر الزمان وأيضا تغير مقياس التباهى بما يملكه الإنسان من الأطيان إلى العقارات إلى الأموال السائلة والمكتنزة (ودائع – سندات – أسهم – مصانع – أنصبة فى شركات ..) ورغم هذا لم يتغير ولم يتبدل نهم الإنسان فى التمتع بالشهوات التى زُيِّنت له ولولا هذا التزيين لما كانت الرغبة فى

الاقتناء وحب التملك والاستحواذ . فلو أن الرغبة والميل للنساء لا وجود لها فمن أين يأتى النسل وخلافة الأرض . ولو انعدمت الرغبة فى امتلاك الثروات لانتهى الطموح وحب الرقي والرخاء ولكان أمامنا عالم من الكسالى المتواكلين ولا نتفى التطور الزراعي والصناعي والعلمي ولما كانت هناك حضارات وثقافات على مر العصور بل يحل بدلا من كل ذلك فتور الهمم والعزائم ولزاد العاطلون بالوراثة إلى حدّ يفوق التصور ، ولتوقفت عجلة التطور العلمي والتقني عند أولى درجات السلم لانعدام المنافسة والرغبة فى إحراز التطور المنطقي والطبيعي :

*سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه (الدين) الحق[42] .

وحرف السين فى كلمة سنريهم تفيد المستقبل . أى أن التطور آتٍ وسيرونه فى الآفاق . فى السماوات وفى الأرض . وفى البحار وفى الفضاء . وفى أنفسهم حتى يعلموا أن الله حق وأن دينه الحق . وأن ما يدعوهم إليه هو الحق .

الفصل الثالث

أنواع الزواج / المحرمات / التعدد

من رحمة الله تعالى بالأمة الخاتمة أن جعلـها أمـة وسطاً والوسطية تعنى الاعتدال لا الغلو والتشدد :

*وكذلك جعلناكم (المسلمين) أُمّةً وَسَطًا[43].

فهذه الأمة اتصفت بالوسطية فى كل شـيء . وإذا كانت الأمة اليهودية قد اتسمت بالماديـة الصرفـة (حـب اليهود للذهب والسعى لملكية العقـارات وغيرهـا) فقـد اتسمت الأمة النصرانية (المسيحية) بالروحانية (الرهبنـة والزهد فى الماديات) أما الأمة الإسـلامية فقـد تمـيزت بالوسطية فلا هي مادية تخلت عن السمو الروحي ولا هـي تغالى بالرهبنة فتنقطع عن الحياة زاهدة فيها وإنما عرفـت الأمة الإسلامية بتوسطها بين المادية والروحانية . تـوازن بين متطلبات الحياة المادية وروحانيات الرسالة والشـريعة الخاتمة التى تقود الناس إلى طاعة الإلـه الخـالق لتنعـم بخيري الدنيا والآخرة . فلا تبيع الدنيا وتطلب الآخرة (كما فعل النصارى) ولا تبيع الآخرة فى سبيل الاستمتاع بالدنيا (كما فعل اليهود)

ومن صفات الوسطية عدم الإسراف فـــى الملـــذات الحسية والمادية والشهوات الدنيوية وأيضا عدم الزهد فـــى متاع الدنيا وكبت المشاعر والأحاسيس وقهر الشهوات التى أباحها الله غلواً وتشدداً غير مطلوب :

*** وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك مـــن الدنيا[44].**

لأن الوسطية فى كل شيء دون تفريط فى شرع الله ودون إفراط فى اتباع الملـــذات والشـــهوات هـــو الأمـــر المطلوب من الناس للفوز بالاحترام الذاتي والفوز برضوان الله :

* تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريـــدون علـــواً فـــى الأرض ولا فساداً . والعاقبة للمتقين [45].

وقد حثنا الله جل شأنه على الوسطية فى كل شـــيء لبنى الإنسان المؤمنون منهم والكافرون على السواء :

* يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجدٍ وكلوا واشـــربوا ولا تسرفوا . إنه لا يحب المسرفين[46].

والحكمة فى ذلك أن الامتناع والزهـــد المطلـــق ذو آثار صحية ونفسية خطـــيرة كمـــا أن الإســـراف والنـــهم

والشراهة فى إتيان وتعاطى الشهوات المختلفة من شـــراب وطعام ورغبات جنسية وغيرها يفضـــي كــل ذلــك إلـــى الانحطاط والدونية والبهيمية التى تلغى العقل وصوته الـذى يكبح جماح الغلو والتمادى والإفراط والإسراف والتفريـــط المنهي عنه . وقد أثبت العلم الحديث أن الآثار الناجمة عـن الإسراف لا تقل خطورة عن تلك التى تنجم عـــن الكبـت وتقييد الغرائز الطبيعية فى اتخاذ مسارها الذى حدده الشرع القويم .

والغرائز كما هي موجودة لـــدى الإنســان فإنــها موجودة لدى الحيوانات والنباتـــات . وتختلــف الوظيفــة والغرض من الغرائز الجنســـية لــدى الممـــالك النباتيـــة والحيوانية عنها لدى الإنسان الذى منحة الله العقل والفكــر بالإضافة إلى الشهوات والغرائز التى سبق أن ذكرناهـــا . ففي المملكة النباتية والحيوانيـــة لا يتعـدى دور الجنــس والغرائز الجنسية عن مهمة الحفاظ على النـــوع ومقاومـــة الفناء والاندثار . فنرى مياسم الزهور تنغلق تماما بعد إتمام تلقيحها بحبوب اللقاح فتبدأ الثمرة بالنمو إلـــى أن تنضـــج حاملة البذور التى تعيد دورة الحياة مرة أخـــرى . وفـــى

المملكة الحيوانية نجد الذكور لا تقرب الإناث بعـــد إتمـــام التلقيح وحدوث الحمل وتعاود الاتصال بالإناث مرة أخـرى بعد الوضع والولادة . وفى الطيور يحدث كذلك . أما فـــى عالم الإنس فإن باب الممارسة لا يحده إلا العقـــل الواعـــي وليست هناك فترات للكف عن الممارسة الغريزية إلا فـــى حالات شرعية محددة مثل فترة الحيـــض والنِفَـــاس وبعـــد الإجهاض لما فى ذلك من أذىً للطرفين بينه لنـــا الشـــارع الحكيم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمـــان وأثبتـــه العلم الحديث فى القرن الماضي :

* ويسئلونك عن المحيض . قل هو أذىً فاعتزلوا النســـاء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطـــهرن (يــبرأن مـــن الحيض) فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركـم الله . إن الله يجب التوابين ويحب المتطهرين(47) .

ومن قديم الأزل وحســـبما أودع الله الغرائـــز فـــى الإنسان وهو يميل إلى الطرف الآخر . فالرجل يميل إلـــى المرأة وكذلك المرأة تميل إلى الرجل . وفى قديم الأزل منذ بدء البشرية لم يكن هناك مايسمى بالزواج الذى نعرفه الآن بل التزاوج هو المعروف أى التقاء الرجل بالمرأة فـــى أى

إطار يعن لهما . وتحت أى مسمى يطلقونـــه تلبيـــة لنـــداء الغريزة وإطفاءً لنار الشهوة التى تفور بين الحين والآخر.

وتروى لنا أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) عن **صور النكاح فى الجاهلية فتقول :**

*إن النكاح فى الجاهلية كان على أربعـــة أنحـــاء . فنكاح منها مثل **نكاح الناس** اليوم : يخطب الرجـــل إلـــى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها (يمـــــهرها) ثـــم ينكحـــها . والنكاح الآخر كان الرجل يقول لأمرته – إذا طهرت مـــن طمثها – أرسلى إلى فلان فاستبضعى (ضاجعى) منـــــه . ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلـــك الرجل الذى تستبضع منه . فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب . وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد . فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع . ونكاح آخر : يجمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة . كلهم يصيبها . فإذ حملـــت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم. فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقـــول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم . وقد ولـــدت . فـــهو ابنك يا فلان . تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها (أى ينسب إلى الرجل الذى عينته واختارته) ولا يســـتطيع أن

يمتتع به الرجل . والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتتع ممن جاءها – وهنّ البغايا – كنّ ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً . فمن أرادهن دخل عليهن . فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة . ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاط به ودعى ابنه لا يمتتع من ذلك[48].

هذا ما كان فى الجاهلية الأولى . أما فى الإسلام وبعد نزول القرآن فقد أصبح الزواج السنّي – أى على سنّة الله ورسوله – **هو الزواج الشرعي الوحيد وله شروطه** منها:

المهر (الصداق) –عدم وجود مانع شرعي لدى المرأة (كأن تكون محرمة عليه بسبب النسب أو الرضاع أو الإحصان) – أن تكون إحدى أربع نساء تحل له (ما زاد عن الأربعة لا تحل للرجل إلا بعد طلاق إحداهن) – موافقة الوليّ (للبكر أما الثيّب فيمكن أن تكون هي وليّة نفسها) – الإشهار – الشهود والتوثيق (فى العصر الحديث).

وهذه الشروط ضرورية لاثبات حقوق المرأة ولاثبات نسب المولود للأب . أما **الزواج السري** (بدون إشهار) أو **العرفي** (بدون موافقة الولي للبكر) أو زواج **المتعة** (الذى تنتفى فيه صفة الدوام والرغبة فى الإنجاب) أو **زواج الشغار** (بدون مهر كأن يتزوج رجل بأخت رجل آخر نظير أن يتزوج الآخر بأخته دون إعطاء مهور للمرأتين) **وزواج المسيار** (أى أن يتزوج الرجل بامرأة فى بلد آخر لا ينفق عليها ولا يقيم معها وإنما يقضى متعته منها كلما أراد أو كلما سافر وحل بتلك المدينة فيعفى نفسه بذلك من تبعات الزواج كما أنه بذلك يرغب عن الإنجاب وهو أحد وأهم ثمار الزواج لتستديم الحياة وتتعاقب الأجيال)وكل هذه الأنواع السابق ذكرها ليست من الشرع ولا الدين فى شيء . وإنما هي نوع من التحايل على شرع الله للتنصل من تبعات ومسئوليات الزواج وإعطاء النساء حقوقهن التى شرعها الله لهن . وقد فعل اليهود مثل ذلك وهو ما يسمى **بزواج الـيبوم** حيث يبسط شقيق الزوج رداءه على أرملة أخيه فتصبح زوجة له دون مهر أو عقد ثم يعاشرها فإذا ما أنجبت ينسب المولود الأول لأخيه المتوفى حتى يستمر ذكره فى الدنيا وحتى لا ترث المرأة أخيه

فتذهب الثروة إلى خارج الأسرة وكما نرى **فإن الزواج الشرعي تقنين للفطرة الإنسانية السليمة وحفاظ للحقوق المشروعة للمرأة وللنسل وعدم اختلاط الأنساب بين البشر فتختل الحقوق** وتضيع عند حساب المواريث وغيرها . وهذا الإطار الشرعي هو ما يحفظ للمرأة كرامتها فلا تمتهن ولا تصبح سلعة أو مشاعا وتسلية يتلاعب بها الرجال . فيكون الرباط الشرعي بين الرجل والمرأة مناط استقرار الأسرة التى هي نواة المجتمع فتتبدل العلاقة بين الرجل والمرأة من مجرد تبادل اللذة والشهوة إلى علاقة قوامها الكرامة والاستقرار ووضوح الحقوق وتوثيقها ويشب النسل والنشء فى حضن الأبوين كريماً عفياً لا منبوذاً لقيطاً وتنزوي الفواحش وتتلاشى فى المجتمع حيث لا مجال إلا للاستقرار والمودة والرحمة والسكن بين طرفي الأسرة فتستمر الحياة على أساس متين قوامه الشرع ويظل الرباط الزوجي رباطاً محكماً يجمع الأسرة ويدعمها ويقيها التفكك والانحلال وهو الرباط الذى سماه الله تعالى **بالميثاق الغليظ** كناية عن قوة دعائمه وأساسه المتين القائم على الشرع القويم :

* وأخذن منكم ميثاقا غليظا[49].

وفى الزواج الشرعي تكـــون مســئولية الزوجيــن متكاملة لا متعارضة كما بينها رسول الله (ﷺ) فى الحديث المروى عنه عن ابن عمر عن النبى (ﷺ) قال :

* كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتـــه . والأمـــير راعٍ . والرجل راعٍ على أهل بيته . والمرأة راعية علـــى بيــت زوجها وولده . فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته[50].

فالرجل عليه توجيه الزوجة وتقويمـــها ورعايتـــها وحمايتها والإنفاق عليها وحسن المعاشرة والمـــرأة عليـــها رعاية زوجها وتلبية شئونه وشئون الأبناء والحفاظ علــــى شرفه وكرامته فى غيابه عنها فلا تدخل أحداً منزلـــه فـــى غيابه أو دون إذنه . ولا تفشى له سرا . **وحديث الإعرابيـة (أمامة بنت الحارث) لابنتها ليلة زفافها خـــير نصيحـــة** حيث قالت لها :

* أى بنيّة.إن الوصية لو تركت لفضل أدبٍ لتركت ذلـــك لك.ولكنها تذكرة للغافل.ومعونة للعـــاقل.ولـــو أن امـــرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنـــت أغنى الناس عنا.ولكن النساء للرجال خلقـــن ولـــهن خلـــق

الرجال . أى بنية إنك فارقت الجو الــــذى منـــه خرجـــت. وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكرٍ لم تعرفيه.وقرين لم تألفيه.فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً.فكوني له أَمَةً يكـــن لك عبدا . **واحفظي له خصالا عشراً يكن لك ذخراً :**

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعـــة وحســن السمع والطاعة.وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواضع عينـــه وأنفه فلا يرى منك قبيح ولا يشم منك إلا أطيب الريـــح . وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه . فـــإن تواتر الجوع مَلْهبة وتنغيص النوم مَغْضَبة . وأما الســـابعة والثامنة فالاحتراس بماله والإرعاء على حشـــمه وعيالـــه. وملاك الأمر فى المال حسن التدبير وفـــى العيـــال حســن التقدير . وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين لـــه أمـــراً ولا تفشين له سراً . فإن خالفت أمـــره أوغـــرت صـــدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره . ثم إياك والفرح بين يديـــه إن كان مهتماً والكآبة بين يديه إن كان فرحاً (51).

وكما هو معروف فقد كان فى قديم الزمـــان وقبـــل نزول الشرائع السماوية يباح للرجل الدخـــول والاقتـــران بأخته وابنته والإنجاب منها (قدماء المصريين وغيرهم من

الأمم السابقة) . وبعد نزول الشرائع السماوية أصبح هنـاك عدداً من المحرمات من النساء وما حرمته التـوراة يكـاد يتطابق مع ما حرمه القرآن الكريم :

* ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سـلف . إنه كان فاحشةً ومَقْتاً وساء سبيلا * حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنـات الأخ وبنـات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعـة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم مـن نسـائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكـم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختيـن إلا ما قد سلف . إن الله كان غفوراً رحيما *والمحصنـات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم . كتاب الله عليكم . وأحـل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغـوا بـأموالكم محصنيـن غـير مسافحين[52].

وأضافت السنة المطهرة تحريم الجمع بين المـرأة وعمتها أو خالتها :

* لا يجمـع بيـن المـرأة وعمتـها . ولا بيـن المـرأة وخالتها[53].

والتحريم هنا ينقسم إلى قسمين:

1-تحريم مؤبد:

مثل الأم والأخت والابنة وزوجة الأب وابنة الأخ وأبنة الأخت والعمة والخالة (المحرمات بالقرابة) وأمهات الرضاعة وأخوات الرضاعة (المحرمات بالرضاعة) وأمهات الزوجات وأبناء الزوجات اللاتي يتم الدخول بهن وزوجات الأبناء والجمع بين الأختين في وقت واحد (المحرمات بالمصاهرة) والمحصنات المتزوجات من النساء وهن في عصمة رجال آخرين.

ومعلوم أن تلك الأصول والفروع وما علون وما نزلن هن من المحرمات مثل جدة الزوجة وبنات أولادها وامرأة ابن الابن وابن البنت وأيضا يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب لحديث النبي (ﷺ) :

* يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[54].

2-تحريم مؤقت:

وهو التزوج بأخت الزوجة إلا بعد طلاقها وانقضاء عدتها ، أو بعد وفاة الزوجة . وأيضا الزواج بابنة الزوجة

التى لم يتم الدخول بها ، والحكمة المفترضـــة مـــن ذلـــك التحريم علمها عند الله . وهناك اجتهادات فى ذلك المقـــام كأن تكون العلة فى أن الزواج بالأقارب يضـــوى الذريـــة ويضعفها مع امتداد الزمن والأجيال (علوم الوراثة) كمـــا أن العلاقة بين الرجل وهؤلاء المحرمات هى علاقة فطرية قوامها الاحترام والتوقـــير والرعايـــة والعطـــف بخـــلاف العلاقات الزوجية التى يعتريها الخلافات والنزاعات التى قد تؤدى إلى الانفصال والشقاق كما أن الجمع بين المحرمـــات المذكورات فى الآيات الكريمة يولد نوعاً من الغـــيرة إلـــى درجة العداوة والاقتتال مما يستتبعه الشـــقاق والانفصـــال وتقطيع الأرحام التى أمر الله تعـــالى بصلتـــها لا التنـــافس والسعى إلى تقطيعها وأيا كانت تلك الاجتهادات صائبة أم لا فإن تشريع الله تعالى واجب النفاذ و التحقيق دون الخـــوض فى العلل والأسباب ومعظم تلك التحريمات كانت معروفـــة أيام الجاهلية وقبل نزول القرآن إلا فى حالتي ما نكح الآباء (زوجات الأب) والجمع بين الأختين .

والله جل شأنه يقول :

* يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير [55] .

والله جل علاه بيّن الغرض والحكمة من تباين واختلاف الأمم والشعوب فهو للتعارف فيما بينهم والتعارف يشتمل على شتى مناحى الحياة من تعاون وتجارة أو تناكح وتناسل وغيره والله فى ذلك هو العليم الخبير بأحوالنا وبما ينفعنا ويصلح لنا ومن نفس المنطلق كانت **حكمة الله فى تحديد الزوجات اللاتى يكن فى عصمة الرجل بأربع** . وفى الجاهلية قبل الإسلام كان التعدد موجوداً وغير مشروط . فنبي الله إبراهيم (عليه السلام) كان متزوجا بسارة (أم إسحاق) وفى ذات الوقت تزوج عليها بهاجر (أم إسماعيل) .

ويعقوب (عليه السلام) كان متزوجا من (ليئة وراحيل وزلفا). وعند نزول آية سورة النساء وتحديد التعدد يروى أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) :

* اختر منهن أربعاً[56].

وروى أيضا أن عميرة الأسدى قال أسلمت وعندي ثماني نسوة فذكرت ذلك للنبي (ﷺ) فقال :

* اخترِ منهن أربعاً[57].

وروى أن نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة . فقال له النبي (ﷺ) :

* أمسك أربعاً وفارق واحدة[58] .

وعن التعدد المذكور فى آية سورة النساء وهى :

* وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم . ذلك أدنى ألا تعولوا[59].

نجد أن التعدد كان موجوداً بالفعل قبل نزول الآية الكريمة وكان منتشراً فى الجاهلية وما قبلها وحين نزلت الآية بتحديد الزوجات بأربع فإنها لم تنشئ ميزة جديدة لأمر غير موجود بل قننت المباح من الزوجات فى عصمة الرجل بأربع على الأكثر .

وفى ذلك نجد أن مكانة المـــرأة قد سمت عما كانت من قبل فلم تعد ضمن قطيع من الزوجات فتفتقد الكثير من الحقـــوق والمنزلة والمكانة التى صانها الإسلام وأنشأها . وبـــالرغم من هذا التحديد فإن الغالبية العظمى من الرجال لا يلجـأ ون إليه إلا للضروريات كأن تكون الزوجة الأولى عـاقراً أو لا تستطيع القيام بشئون الزوجية لمرض مزمن ألم بـــها . أو كأن تكون القوة البدنية والجنسية لدى الرجل بالإضافة إلـــى حالته المادية التى تيسر له الاقتران بامرأتين أو أكثر مـــع العدل بينهن كما أمر الله فى المعاملة والنفقـــة والمعاشـــرة والمباشرة (العدل فى مشاعر القلوب وأحاســيس النفـــوس غير وارد لأن ذلك الأمر بيد الله وحده).

أى أن الإسلام لم ينشئ التعدد وإنما حدده ولم يأمر بالتعدد وإنما رخص فيه وقيده وأنه رخص فيه لمواجهـــة واقعيات الحياة البشرية وضرورات الفطـــرة الإنســـانية . والحكمة والمصلحة فى كل تشريع إلـــهي – سواء أدركـــها البشر أم لم يدركوها – مفترضة وواردة وواقعة . فالله لـــم يشرع لنا شيئاً إلا وفيه مصلحة البشرية وتلبيـــة حاجتـــهم .

الفطرية التى خلقوا بها وهى تلازمهم فـــى كـــل زمـــان ومكان . والوقوف ضد الفطرة ومحاولة قمعهـــا بتشـــويع أو أفكار وضعية بشرية ليس له نتيجة إلا الفوضى وتفشـــى الرذائل والانحطاط . والدين الإسلامي هو ديـــن الفطـــرة السليمة وهو يلبى حاجات ومتطلبات الفطرة الإنســـانية دون تفريط . فلا تمادى وتسيب وتهاون وأيضاً لا كبت ولا قـــهر وعسر . وإنما هو دين اليسر لا العسر:

* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[60] .

*وما جعل الله عليكم فى الدين من حرج [61].

وفى ختام آية تحديد التعدد ترد حكمـــة الله (ذلـــك أدنى ألا تعولوا) أى هذا التشريع اتقاءً للجور والظلم وسعياً لتحقيق العدالة التى يرتضيها الله . فلا يكون هناك إمســـاكاً للنساء وتقييداً لحريتهن لمجرد التحكـــم فيـــهن وإذلالـــهن وإغماض رغباتهن وسلب حقوقهن بالزوج منهن لمجـــرد الإمساك فقط دون منحهن كافة حقوقهن بـــالعدل بينـــهن . وإنما إذا كان للتعدد ضرورة وحاجة فهو مقيـــد بشـــروط أهمها العدل الذى ينفى الجور والظلـــم وإلا فـــإن الحالـــة تقتضى الزواج بواحدة فقط :

*فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم [62].

* ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة[63] .

وملك اليمين هي الإماء والأسري من النساء وكلا الحالتين انتفتا فى عصرنا الحالي حيث انتهى الرِقّ (تجارة الرقيق والعبيد) فى العالم وأيضا لم يعد هناك من الأسرى فى الحروب الحديثة ما يغنمها المسلمون . ونلاحظ أن فترة الإخصاب الطبيعية فى الرجال تمتد إلى سن السبعين أو ما فوقها . بينما هي تقف فى المرأة عن سن الخمسين أو حواليها . فهناك حوالي عشرون سنة من سني الإخصاب فى حياة الرجل لا مقابل لها فى حياة المرأة . وما من شك أن من أهداف اختلاف الجنسين (الذكر والأنثى) ثم التقائهما امتداد الحياة بالإخصاب والإنسال وعمران الأرض بالتكاثر والانتشار فليس مما يتفق مع هذا الواقع الفطري أن نكف الحياة عن الانتفاع بفترة الإخصاب الزائدة فى الرجال (وكذلك أيضا زيادة تعداد النساء على الرجال خصوصاً فى فترات ما بعد الحروب والكوارث) . ولكن مما يتفق مع هذه السنة الفطرية أن يسن التشريع المناسب

لكافة البيئات فى جميع الأزمان والأحوال (التشريع الإلهي) هذه الرخصة لا على سبيل الإلزام الفردي ولكن على سبيل إيجاد المجال العام الذى يلبى هذا الواقع الفطري الـــذى لا يمكن إنكاره مطلقاً ويسمح للحيـــاة أن تنتفـــع بـــه عنـــد الاقتضاء . وهو توافق ملحوظ فى التشريع الإلهي بين واقع الفطرة وبين التشريع وهو مالا يتوافر عادة فى التشـــريعات البشرية الوضعية . لأن الملاحظة البشرية تكون قـاصرة لا تنتبه ولا تدرك جميع الملابسات القريبة والبعيدة ولا تنظـــر من جميع الزوايا ولا تراعى جميع الاحتمالات :

* ولا ينبئك مثل خبير[64].
* والله يعلم وأنتم لا تعلمون[65].
* إن الله كان عليما حكيما[66] .

ويجرفنا الحديث عن التعدد – طبيعيـــا ومنطقيـــا – للحديث عن زوجات الرسول (ﷺ) أمهات المؤمنين حيـث تنبئنا كتب السيرة عن أن النبي (ﷺ)كان متزوجـــاً بـــأم المؤمنين (خديجة)(رضى الله عنها) ولم يتزوج عليها حتى توفاها الله قبل الهجرة من مكة إلى المدينة فى عام يســـمى

(عام الحزن) ومنها أنجب ذريته المعروفة (القاسم وعبد الله وقد توفيا فى طفولتهما وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة) ثم تزوج بسودة بنت زمعة (رضى الله عنها) وكانت أرملة المهاجر إلى الحبشة بن عمها السكران بن عمرو. وقد تزوجها النبي (ﷺ) جبراً لخاطرها وعزاءً لها عن زوجها الذى مات عنها فى الغربة . تزوجها لترعى وتربى وتخدم بناته وكانت مسنة بدينة وظلت تقوم على بيت رسول الله (ﷺ) حتى جاءت عائشة بنت أبى بكر فأفسحت لها سودة المكان الأول فى البيت وحرصت على أن تتحرى مرضاة العروس الشابة وأن تسهر على راحتها ولم تظهر ضيقاً بالوافدات الأخريات من بعد عائشة . ثم تزوج النبي (ﷺ) بعائشة (رضى الله عنها) بعد وفاة خديجة بثلاث سنين . وبعد أن اكتمل نضجها (خطبها لست أو سبع سنين ثم بنى بها وهى لتسع سنين) وكان النبي (ﷺ) يبلغ وقتئذ الثالثة والخمسين من العمر . وكان أمراً شائعاً عند العرب التفاوت الكبير فى العمر بين الزوجين فنرى جده عبد المطلب وقد تزوج من هالة الزهرية بنت عم آمنة أم النبي فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر

أبنائه من آمنه بنت وهب . وتزوج أيضا عمر بن الخطاب من بنت على بن أبى طالب وهو فوق سن أبيها . وعرض عمر على أبى بكر ابنته حفصة وبينهما من فارق السن مثل الذى بين الرسول وعائشة وعادة تزويج البنات وهن صغار ممن يكبرهن عمراً شائعة إلى يومنا هذا فى كثير من المناطق الآسيوية وشرق أوروبا وأواسط وجنوب أفريقيا وبعض المناطق الجبلية فى الولايات المتحدة وفى أسبانيا والبرتغال إلى عهد قريب . وهى عادة منتشرة فى الريف والصعيد وبدو الصحارى . وكانت عائشة (رضى الله عنها) البكر الوحيد التى تزوج بها الرسول (ﷺ) وهى ابنة أحب الناس إليه أول من أسلم من الرجال وثاني اثنين فى الغار وصاحبه فى الهجرة والخليفة الراشد الأول والذي قال عنه الرسول (ﷺ):

*لو وضع إيمان الأمة فى كفة (من الميزان) ووضع إيمان أبى بكر لرجح إيمان أبى بكر .

ثم تزوج النبي (ﷺ) من حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكانت ترملت فى الثامنة عشر من عمرها . وعرضها عمر على أبى بكر فأبى وأمسك أن يدلى برأي

ثم عرضها على عثمان بن عفان وكان متزوجاً من السـيدة رقية بنت رسول الله وكانت مريضة بالحصبة بعد عودتـها من الحبشة وماتت بعد غزوة بدر فاستمهله عثمان بضعـة أيام ثم أعرض ولما ذهب عمر إلـى النبـي (ﷺ) يشـكو صاحبيه وصهريه فقال له مطيّباً خاطره:

*يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة (يقصد أم كلثوم ابنة النبى) .

ثم انطلق عمر ليبشر ابنته فلقى أبو بكر الذى هنـأه لما رآه مسروراً وقال له معتذراً :

* لا تجد على يا عمر (أى لا تؤاخذني بما رفضت) فإن رسول الله (ﷺ) ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشى سر رسـول الله (ﷺ) ولو تركها لتزوجتها.

وكلتا الزيجتان (من عائشة وحفصة) هما لتكريـم أحب الرجال إلى رسول الله (ﷺ) ولمزيد مـن أواصـر القربى والمصاهرة بينهم ثم تزوج بعدهن من زينب بنـت خزيمة (أم المساكين) أرملة شهيد أحد ولم تمكث ببيـت النبوة إلا بضعة شهور ثم وافتها المنية . وكـانت كريمـة على الفقراء والمساكين ورحيمة بهم وكانت فـى حوالـي

الثلاثين من عمرها . ثم تزوج النبي (ﷺ) بعدهـا مـن أم سلمة (بنت زاد الركب) وكانت أرملة أبو سلمة ابن عمـة الرسول وأخوه من الرضاعة صـاحب الـهجرتين (إلـى الحبشة والمدينة) و شهيد موقعة بنى أسد وكان لأم سـلمة فى (صلح الحديبية) دور جليل حيث أشارت عليـه(ﷺ) بالخـروج لا يكلم أحد من الصحابة الذين عـاتبوه علـى الصلح . يخـرج لينحر ويحلق لأنـه أُحصـر عـن أداء العمرة . وكانت أم سلمة أول من هاجر إلى الحبشـة مـن النساء وصحبته فى فتح مكة وحصـار الطـائف وغـزو هوزان وثقيف . ثم تزوج النبي (ﷺ) مـن زينـب بنـت جحش وكانت زوجاً لزيد بن الحارثة وحفيدة عبد المطلـب وابنة عمة الرسول . وكان زيد مولـى رسـول الله (ﷺ). واعترضت زينب على الاقتران بزيد لكونه مـن الموالـى وأقل منها منزلة وشرفاً ولكن الرسول أراد أن يحطم فوارق الطبقات واعلاء كلمة الإسلام فى الإخاء والتفضيل والتكريم بالتقوى . وتم الزواج وكان الشقاق المستمر واشتكى زيـد من جفاء الزوجة وترفعها وصدها والنبي (ﷺ) يطلـب إليه المزيد من الصبر ويقول له :

* أمسك عليك زوجك واتق الله[67].

وكان الرسول يخفى فى نفسه أمراً . حيث أن زيــداً كان يدعى زيد بن محمد كعادة الجاهلية فى التبني . ونزول الأمر الإلهي بإبطال عادة التبني واعتبار أن الابن المتبنَــى هو ابن شرعي يحق له الميراث ويمتنع التزوج بزوجته إذا ما طلقها أو مات عنها . وكان الحرج يجول بصدر النبــي (ﷺ) حتى لا يقال أنه تزوج امرأة ابنه (المتبنى) ولكــن شرع الله وأوامره واجبة النفاذ :

* وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمــراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورســوله فقد ضل ضلالاً مبينا[68].

ثم نزل الأمر الإلهي بتحريم التبني . وعليه يجــوز التزوج بحليلة الابن المتبنى . وانتهت إلى الأبد عادة التبنــي التى كانت شائعة فى الجاهلية ولعدة سنوات منذ البعثة :

* ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفــه . ومــا جعــل أزواجكم اللائى تظاهرون منــهن أمــهاتكم . ومــا جعــل أدعياءكم (أبناءكم بالتبني) أبناءكم . ذلكم قولكم بأفواهكم . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * ادعوهم لآبائهم هــو

أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فـإخوانكم فـي الديـن ومواليكم . وليس عليكم جناح فيما أخطأتم بـه ولكـن مـا تعمّدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً [69].

وأبطل الله التبني وزوجه الله تعالى من زينب تـأكيداً للحكم :

* وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليـك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديـه وتخشـى الناس والله أحق أن تخشاه . فلما قضى زيدٌ منـها وطـراً (بالزواج) زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً . وكـان أمـر الله مفعولاً *ما كان على النبي من حرجٍ فيما فرض الله له.سنّة الله فى الذين خلوا من قبل . وكان أمر الله قدراً مقـدوراً[70].

ومن بعد نزول الآيات الكريمة بطل التبني وحُـرِّم وعاد زيد إلى اسمه الحقيقي زيد بن الحارثة وتـزوج (ﷺ) من زينب التى صارت تتباهى بأن الله هو الذى زوجها مـن فوق سبع سماوات كما تباهت عائشة من قبل بأنـها البكـر

الوحيد التى تزوجها النبي (ﷺ) . وتزوج النبي بعد ذلك من جويرية بنت الحارث . سيدة بنى المصطلق وكانت من سبايا الغزوة فاعتقها الرسول وتزوجها لرفعة مكانتها واعتق بزواجها أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطلق و كانت بذلك بركة على قومها . ثم تزوج النبي (ﷺ) من صفية بنت حُيَي عقيلة بنى النضير وكانت من سبايا غزوة بنى خيبر فأعتقها الرسول وتزوجها وحسن إسلامها (كانت من اليهود) وكان نسبها يصل إلى هارون (عليه السلام)وتزوج بعدها النبي من أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان وكانت زوجة لابن عمة النبي عُبَيد الله بن جحش الأسدى الذى أسلم معها وهاجرا إلى الحبشة ولكن عُبَيد الله ارتدّ عن دينه واعتنق النصرانية دين الأحباش وحاول أن يردها عن الإسلام فصبرت وفارقها فأرسل النبي (ﷺ) إلى الحبشة من يخطبها ووكلت خالد بن سعيد عنها وحضر جعفر بن أبى طالب ابن عم الرسول وتمت الخطبة بالوكالة والزواج فى حضرة النجاشى و أضحت أُمّاً للمؤمنين فى مهاجرها بالحبشة واصطحبها جعفر بعد ذلك إلى المدينة المنورة بعد انتهاء غزوة خيبر وكانت فى الأربعين من عمرها ثم تزوج

ماريا القبطية أم إبراهيم وكانت جارية مهداة له من عظيم قبط مصر المقوقس . وهى الوحيدة التى أنجبت للنبي (ﷺ) بعد خديجة (رضى الله عنهم أجمعين) ولكن إبراهيم توفى لمرض وهو لم يبلغ العامين بعد . وأوصى النبي بأهل مصر :

* الله الله فى أهل الذِمّة . أهل المدرة السوداء . السحم الجعاد . فإن لهم نسباً وصِهراً .

وكما نعلم فالنسب يعود إلى السيدة (هاجر) زوج إبراهيم (عليه السلام) أم إسماعيل (عليه السلام) والصِهر يعود إلى ماريا القبطية . وهى التى أقامت بمسكن منفصل عن بيوت أزواج النبى . ويقول النبى (ﷺ) :

*استوصوا بالقبط خيراً . فإن لهم ذِمّة ورحماً .

وكانت ميمونة بنت الحارث أخراهن وأتقاهن . وفى رواية أنها هي التى وهبت نفسها للنبي (ﷺ) ونزلت فيها الآية الكريمة:

* و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبـــي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين(71).

وكان ذلك فى فتح مكة وكان اسمها برّة ولكن النبـــي سماها ميمونة تيمناً بمناسبة فتح مكة الميمـــــون . وكـــانت إحدى أخوات أربع قال فيـــهن الرســـول (ﷺ) الأخـــوات المؤمنات . هي وشقيقة لها تسمى أم الفضل (لبابة الكبرى) أول امرأة أسلمت بعد خديجة (رضى الله عنـــها) وأســـماء بنت عميس الخثعمية وسلمى وهما أختان لبرّة من أمـــــها . وهناك امرأة تدعى أسماء بنت النعمان من كنْدة كان النبـــي (ﷺ) قد خطبها وقبل الدخول بها أشـــرن عليـــها عائشـــة وحفصة وغيرها أن تستعيذ بالله إذا ما دخل الرسول عليـــها استجلاباً لرضى النبي ومحبتــــــه . ولمـــا فعلـــت أســـماء بالنصيحة الماكرة سرحها النبى ولم يدخل بها وقال :

* لقد عُذتِ بمعَاذ .

وغادرها من لحظته وأمرها أن تلحق بأهلها .

وعددهن اثنتا عشر امرأة بخلاف أسماء . وكلـــهن تزوجن النبى (ﷺ) إما لتشريع أو لحكمة وكلهن -باســـتثناء عائشة – كن ثيّبات (أى سبق لهن الزواج مــــن قبـــل) .

وأغلبهن كن فوق سن الشباب بل وفيهن من كـــانت مســنة عجوز . وبذلك ينتفى تصديق وترديد ما قاله المستشـــرقون من أن النبي (ﷺ) كان شهوانيا —حاشا لله-أومزواجـــا . كما قلنا أن عادة الزواج بأكثر من واحدة كانت منتشرة بيـن العرب . والنبي لم ينجب سوى من خديجة رضى الله عنـها ومن مارية (أم إبراهيم).وكانت من أمهات المؤمنين مـــن لديها أبناء من أزواج سابقين (مثل أم حبيبة وأم سلمة) . وكان الأمر كله بوحي وتوجيه من الله ولم يكن وليد هـــوىً أو رغبات وأحل الله له ذلك . ثم أمره بعد ذلك بألا يـتزوج بأخريات ولا يستبدل بمن تتوفى أو يسرحها . فالأمر كلـــه إذن لم يترك للهوى أو الرغبة :

*** يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهـــن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك . وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصةَ لـك من دون المؤمنين . قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم (التحديد بأربع) وما ملكت أيمانهم لكيلا يكــــــون عليـك حرج . وكان الله غفورا رحيما * ترجى من تشـــــــاء**

منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغت ممن عزلت فلاجناح عليك . ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن . والله يعلم ما فى قلوبكم . وكان الله عليم حليما * لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيءٍ رقيبا[72] .

والله يبين أنه لو أُعجب النبي بامرأة فليس عليه إلا الامتثال وطاعة أمر الله بعدم التبديل ولا الزيادة على ما فرضه الله عليه وأن الله رقيب على الأفعال والأقوال والضمائر . وتحدثنا السيرة والقرآن الكريم أن نساء النبي حينما تظاهرن عليه طلباً للتوسعة فى النفقات وللتنعم بالمزيد من المباهج اعتزلهن النبي (ﷺ) لحوالي الشهر ونزلت الآيات بلهجة شديدة فى التخيير لهن بين شرف الانتماء لبيت النبوة ورضوان الله عليهن بما قسمه الله لهن وما ينفقه الرسول عليهن وبين التسريح أى الطلاق دون المهادنة وفى هذه الحالة سيبدله الله خيراً منهن:

* يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيـــا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً *وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعـــد للمحســنات منكن أجراً عظيماً [73].

* إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكـــما (صفــت) وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنيـن . والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن أن يبدلـــه أزواجاً خيراً منكن . مسلمات مؤمنـــات قانتـــات تائبـــات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا[74].

ووظيفة أمهات المؤمنين بالنسبة للنبي هـــي القيـــام على شئونه ومساعدته فى تبليغ دعوته وتهيئة الجو والمناخ الأسرى الذى يعينه على تلقى وتبليغ شرع الله وتعاليمه :

* وقرن فىبيوتكن ولاتبرّجْنَ تبرّج الجاهليـــة الأولــى . وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيــت ويطــهركم تطــهيراً ***واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمــة . إن** الله كان لطيفاً خبيراً[75].

وموضوع الشهوة الجنسية وتلبية الرغبات الغريزية لا نقول أنه لم يكن وارداً فى العلاقة بين النبي وأزواجه وإنما نقول أنه كان أمراً عرضياً حيث لم يكن زواج النبي بهن وليد شهوة أو رغبة حسية وإنما أولاً امتثالا لأمر الله ووحيه وتهيئة للمناخ المناسب لتلقى القرآن وتبليغه للناس والتطبيق العملي لكل ما نزل من الشريعة على النبي وأزواجه قبل المؤمنين كافة . وتصف لنا السيدة عائشة(رضى الله عنها) حينما سُئلت عن خلق النبي (ﷺ) فقالت :

* كان خُلقهُ القرآن . وكان قرآناً يمشى على الأرض[76].

أى أنه كان منفذاً لتعاليم القرآن وكان يُوحَي إليه بما يفعل أو يقول ولم يتصرف عن هوىً أو رغبة . ويعتبر التعدد فى حالة زوجات الرسول من خصائصه وتفرده . فلا يجوز أن يدعى أحداً أنه يحق له الزواج بعدد من النساء كما فعل الرسول . كما أن التعدد الذى قيده الله بأربع لو نفذه الرسول على نفسه فلن تتمكن أياً من زوجاته اللاتى

يطلقهن أن يتزوجن من غيره لكونهن أمهات المؤمنين :

* النبي أولَى بالمؤمنين من أنفسهم . وأزواجه أمهاتهم[77].

*وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً . إن ذلكم كان عند الله عظيما[78].

ومعلوم أن الأمهات من المحرمات فى النكاح . فلو سرحهن (ما زاد على الأربعة) النبي (ﷺ) ستظل مطلقته لا تستطيع الزواج مطلقا. وفى هذه الحالة سيقع عليهن أشد الضرر دونما ذنب وهن اللاتي وقفن مع الرسول يقمن على شئونه وكن عوناً له فى أداء وتبليغ الرسالة والجهاد فى سبيل الله بعكس زوجات المسلمين الذين زادوا على الأربع فيحق لهن الزواج بعد انقضاء عدتهن . والإسلام لا يعاقب المؤمن المخلص السوي المجاهد دونما ذنب . وكان انتساب زوجات الرسول إلى بيت النبوة شرفاً ما بعده شرف وتكريماً ومنزلة ما بعدها منزلة لا يجوز عدلاً أن يفقدنها دون جريرة .

وهناك ملاحظة هامة فى الأمر الإلهي بتقييد التعدد بأربع (فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنَى وثلاث ورباع) وهو كلمة (ما طاب) ولم يقل سبحانه فأنكحوا من النساء مثنى وثلاث ورباع . وهذا أمر له دلالته فى أن اختيار الزوجات لا يكون عن هوىً ورغبة جسدية أو اشتهاء وتباهى وإنما يكون بسبب وجود ميزة ومرتبة وصفات تجدر بمن تتحلى بها أن تكون أهلاً للتنافس والتسارع فى الاقتران بها لتلك المزايا والخصال المتفردة كأن تكون ذات رجاحة فى العقل أو حسن إدارة وتدبير لشئون الأسرة أو تميز علمي أو خبرة فى تسيير حياة الأسرة وتربية النشء وما إلى ذلك . أى يجب أن يكون اختيار الزوجة قائماً على مزايا وصفات تتوفر بالإضافة إلى الميزة الأساسية والهامة وهى التدين وحسن الخلق والطاعة والأمانة وغير ذلك من الخلال الحميدة التى تدفع الرجل للمسارعة فى الاقتران بمن لديها تلك الخصال . ولا يشترط فى أن تكون تلك الزوجات – كما قد يتبادر إلى الذهن – أبكاراً أو صغيرات السن أو جميلات أو فاتنات أو ما إلى ذلك . وإنما حُسن الاختيار (ما طاب) هو مربط الفرس ومفتاح النجاح فى الحياة الزوجية والأسرية . وقدرة

والمال أيضا وسيلة . كما هو غاية . للمباهاة والتفاخر بين الناس :

***المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً[87].**

والفقر يجعل الإنسان ذليلا منكسر الحال خفيض الرأس مهيناً بين الأثرياء يتحاشونه ويتكبرون ويتعالون عليه .

4- **نقص الأنفس :** يجزع الإنسان حينما يفقد حبيب أو قريب. مثل الأبناء أو الزوجات أو الآباء . ويكون الجزع والهلع أكبر لو كان الفقيد هو العائل أو المعين . وتضطرب أحوال الإنسان لفترات قد تطول أو تقصر حسب أهمية الفقيد أو قرابته . والموت قدّره الله على كافة المخلوقات . بل سبحانه وتعالى خلق الموت وقدّره قبل أن يخلق الحياة حتى يكون هناك تعاقباً للأجيال :

*الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور[88].

ولولا الموت لما كان هناك تعاقباً للأجيال ولكان هناك صداماً حضارياً مستمراً لا تستقيم معه الحياة ولا تصلح .

والخلود لم يقدّره الله تعالى على أى من مخلوقاته خصوصاً البشر :

*** وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . أفإن مت فهم الخالدون *كل نفس ذائقة الموت[89].**

فهذه سنة من سنن الله فى الخلق وحكمة بالغة لا يدركها إلا العاقل والمؤمن الذى يتحمل صدمة الموت وفراق العزيز ويحتسب عند الله حتى تستمر الحياة كما أرادها الله وحتى لا يدفعه الشيطان إلى الكفر بالله حيث أن الموت الذى يحدث فى الدنيا يعقبه بعثاً وخلوداً فى الآخرة يوم النشور والقيامة.

5- **نقص الثمرات :** وهو ما يحدث عند تعرض المزروعات للآفات والأوبئة مثل الجراد والريح التى تتلف وتسقط الثمار قبل نضجها ومثل الحرائق أو الأعاصير أو الزلازل والبراكين والصواعق والسيول التى تهلك الحرث والنسل . وكما بيّنا فإن نقص الثمرات يتبعه انتشار

المجاعات التى تفضى إلى هلاك البشر والحيوانات والأنعام التى يأكلها الإنسان .

وهذه الابتلاءات الخمسة هي علـــى ســبيل المثـــال والحصر وما يماثلها فهو يندرج تحتها . والله تعالى يبتلـــى الإنسان بكل ذلك أو بعضه ومن رحمته أنه سبحانه قـــال وقدّر وقرّر أن يكون الابتلاء بشيءٍ أى جزءٍ يسيرٍ من تلك الابتلاءات ولم يقل جل شأنه ولنبلوكم بـــالخوف والجـــوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات لأنه الرحيم بخلقـــه رحمن الدنيا والآخرة يعلم مدى ضعف الإنسان :

* وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً [90].

ورغم الابتلاء بجزءٍ يسيرٍ مما بيّنه الله فإن غالبيـــة البشر تجزع وتهلع وتخرج عن شـــعورها وتـــتردى فـــى مدارك الشرك والكفر ولذا فكان العلاج الناجح والحل الوحيد هو مابيّنه الله ألا وهو الصبر (وبشر الصـــابرين) . لأن كل إنسان معرض طوال حياتـــه لمثـــل تلـــك الابتـــلاءات والمحـــن . ومن صبر وحمد وشكر فإنه هو المرضي عنـه من رب العباد . يعوضه عما فقده ويجزيه خير الثواب فـــى

الدنيا والآخرة وكما أنبأنا سبحانه أن رحمته وحكمته أكثر وأكبر مما نتصور ونتخيل :

* إن الله بالناس لرءوف رحيم[91]

* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون*أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةٌ . وأولئك هم المهتدون[92] .

*وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم . وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون[93].

والحكمة بينها الله بأنه سبحانه يعلم ونحن لا نعلم . يعلم أين الخير وما يصلح الإنسان وما ينفعه ونحن لا نعلم الغيب وجلّ ما نعلمه هو الظاهر لنا والذي قد لاندرك حكمته ورحمة الله فيه . وصلوات الله على الصابرين هي ذكرهم في الملأ الأعلى بأن عباده الصالحون صبروا على البلاء إيمانا واحتسابا عنده جل شأنه ولذا فأجرهم إذا صبروا بغير حدود ولا حساب وليس كسائر الحسنات التي تضاعف إلى العشر أو إلى السبعمائة ضعف . وإنما الصابرون يُوفّون أجورهم بغير تحديد :

*إنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب [94] .

ومع صلوات الله على عباده المؤمنين الصابرين المحتسبين عنده الأجر والثواب تجيء الرحمة الواسعة من الله :

* عن أبى يحيى صهيب بن سنان قال : قال رسول الله (ﷺ):

عجبا لأمر المؤمن . إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له.وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له[95].

* ويقول (ﷺ) :
إنما الصبر عند الصدمة الأولى[96] .

*ويقول (ﷺ) :

مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وماعليه من خطيئة[97].

وينصحنا جل شأنه فيقول :

*يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة . إن الله مع الصابرين [98] .

ومعية الله دائما مع من أطاع . مع من آمن وصبر . مع من حمد وشكر فى كل الأحوال . ولا يقنط من رحمة الله . ولا يجزع لابتلاءٍ أو ضرٍ أصابه فيخرج عن المِلّة وعن رِبقة الإيمان . وفى قصة العبد الصالح مع موسى (عليه السلام) والتى وردت فى سورة الكهف نجد الكثير مما ينبغى لنا فهمه . فقد صاحب العبد الصالح موسى (عليه السلام) بشرط ألا يسأله عما يحدث أمامه من أشياء غير منطقية .؟ ثم بدأت الرحلةليجد موسى (عليه السلام) أن العبد الصالح قد أخرق السفينة التى يمتلكها المساكين ويتكسبون منها ويعيشون على دخلها . ثم يجده بعد ذلك وقد قتل غلاما صغيراً دونما سبب واضح ويجده أخيراً وقد قام ببناء جدار تهدم فى مدينة أبت ضيافتهما ولم يدفعوا له الأجر على عمله . وكان موسى (عليه السلام) يتعجب مما يحدث أمامه من أشياء غير منطقية فيسأل العبد الصالح لماذا يفعل فيذكره

بالشرط الذى أخذه عليه ليصحبه فى تلك الرحلة العجيبـــة ولما بلغ نهاية المطاف قال العبد الصالح :

• هذا فراق بيني وبينك . سأنبئك بما لم تستطع عليه صبراً
* أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فـأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كـل سـفينة غصبـا (أى يصادرها لحسابه) *وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشـينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً * فأردنـا (بـأمر الله لـه) أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما * وأما الجـدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغـا أشـدهما ويسـتخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى (أى كل ذلـك بأمر ووحي من الله) . ذلك تأويل ما لـم تسـطع عليـه صبرا[99].

والمقصود الواضح من هذه القصة القرآنيـة التـى حدثت أن هناك أشياء قد نظنها خيراً ونتمنـى اسـتمرارها وعدم زوالها وإذا حدث وفقدناها ظننا ذلك شراً مسـتطيراً وبلاءً ما بعده بلاء وفى واقع الأمر الذى سينجلى بعد حيـن أن الله بحكمته ورحمته قدّر زوالـها لكـون اسـتمرارها

ووجودها هو الشر بعينه (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)·وكما يقال (لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع) فهي مقولة صحيحة من شتى الوجوه . فما نحسبه خيراً قد يكون فيه الشر الذى يستوجب الخلاص والنجاة منه . وما نحسبه شراً قد يكون هو الخير بعينه .

وهذا هو نفس ما ينصحنا الله به فى الزوجة التى نراها لا تصلح لدوام المعاشرة فيبادر الرجل إلى الخلاص من زوجته بالطلاق وتكون فى واقع الأمر هي أفضل من غيرها وأحرص من أى وافدة أخرى (زوجة جديدة) على الزوج الذى باعها بأبخس الأثمان دون وعى :

*فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً[100]

وهذا هو بيت القصيد من تلك المقدمة اللازمة وإن طالت بعض الشيء .

فالزوج قد يُبتلى بما يكره وفيه الخير وقد يُبتلى بما يحب وفيه الشرور وسوء العاقبة . فقد يختار الرجل المرأة لجمالها وفتنتها ويظن أنه بذلك يضمن السعادة والحياة

الهانئة ولا يدرى أن شقاءه يلاحقه بل ويسبقه كلمـــا نظـــر إليها آخر وفتنته بجمالها فتشتعل نار الغيرة فى صـــــدره ويزداد الشك لديه كلما حادثت أحداً ونظر إليها آخـــرون . وقد ينتهى الأمر بالطلاق أو بجريمة يتخلص فيها الرجـــل من شكوكه والوساوس التى تساوره بقتل الزوجة حتىلايـهنأ بها غيره أو ينعم بها غريم . وقد يسعى الرجــل للاقــتران بمن هى ثرية يظن أن بمالها سوف يحقق أحلامه وتطلعاتــه ورغباته فيجد-بعد الزواج - أنه أصبح عبداً أجيراً لزوجتــه تعايره بما تفيضه عليه من المال وتشعره بالمهانة والذلـة أو تمنع عنه مالها فيكتشف بخلها أو حرصها أو يفاجـــأ بأنـــه غير مؤهل لمجاراتها فى النفقات والمظـــاهر والإســـراف فيدب بينهما الشقاق الذى يفضى إلى الانفصـــال أو تظـــل الحياة الزوجية مرتعاً للمنغصات والمشاكل فلا يكون بينـهما المودة والرحمة والاحترام ولا تضيق بينهما الهوة المتســعة نتيجة تفاوت المســتويات الاجتماعيــة أو درجــة الــثراء خصوصا حينما تتبين الزوجة أهداف زوجها فـــى مالـــها . وقد يختار الرجل المرأة ذات الحسب والنسب لترفعه معـــها من ضعته أو دناءته فيشقى معها لعدم وجود لغـــة للحـــوار والتفاهم حيث تتعالى الزوجة وتتباهى بأسرتها أو مكانتـــها

العلمية حينما تصطدم بعدم مجاراة الزوج لعاداتها وتقاليد أسرتها وإحساسها بأنه دونهم منزلة ومكانة وأن الاختيار الذى تم وكان قائما على العاطفة وحدها لا يرضى غرورها وتعاليها بعدما كانا منساقين لأحلامهما بالسعادة والانسجام .

ويوضح لنا الرسول (ﷺ) حل تلك المعضلات وطرق الوقاية والعلاج فيقول :

* تُنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك [101].

وهذه هي أسس الاختيار للزوجة :

1- **المال** : ونضيف على ما ذكرناه من قبل أن المال إذا هلك ونفذ وصارت المرأة فقيرة بعد أن كانت ثرية تنفق بسخاء على زوجها وبيتها ضاق الزوج بحالة الكساد والفقر التى حلت به فيعرض عن زوجته ويذهب ليبحث عن غيرها ذات مال أيضا لأنه تعود على النطاعة والبلادة ولم يقم بأهم دور فى الحياة الزوجية وهو الإنفاق على أهل بيته . وهو الدور الذى يكفل له القوامة والقيادة فى الأسرة التى أرادها الله :

* الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم [102].

ونحن لا نحرّم أن يأخذ الرجل من مال زوجته برضاها ولكن النفقة واجبة من الزوج على أسرته كما بينته الآية الكريمة . وإذا كانت الزوجة تساهم من مالها الخاص فى نفقات الأسرة فذلك ليس بفرض ولا واجب عليها وإنما هو تطوع لها أن تفعله أو لا تفعله دون مؤاخذة.فالرسول الكريم يبين لنا أن من شروط إقدام الرجل على الزواج هو استطاعته القيام بمتطلبات الحياة الزوجية من نفقات وحماية ورعاية وما إلى ذلك :

* يا معشر الشباب . من استطاع منكم البـاءة (تكاليف ومتطلبات الزواج) فليتزوج . فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء (وقاية)[103].

* دينار أنفقته فى سبيل الله (فى الجهاد والطاعة) . ودينار أنفقته فى رقبة (أى عتق رقيق) ودينار تصدقت به

على مسكين . ودينار أنفقته على أهلك . أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك[104].

* كفى بالمرء إثماً أن يضيّع مَنْ يقوت (أى يعول)[105].

وليس هناك حدود مالية للزواج والإقدام عليه . وإنما ما يســـره الله للمرء من كسب حلال يمكنه من إعالة أهـــل بيته :

* لينفق ذو سعة من سعته . ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفـــق مما آتاه الله . لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها . ســـيجعل الله بعد عسر يسرا[106].

* قال رسول الله (ﷺ) إن لكل أمة فتنـــة . وفتنـــة أمتـــى المال[107] .

ويوضح الله القضية بجلاء بأنها ليستفقراً ولا غنـــىً لقيام الأسرة الصالحة نواة المجتمع الصالح :

* وأنكحوا الأيامى منكم (الأسارى) والصـــالحين مـــن عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضلـــه . والله

واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله[108] .

ومن اعتقد أن المال الوفير هو الذى يضمن سعادة الأسرة وبهجتها فإنه بذلك يكون عبداً للمال الذى يتحكم فيه وفى علاقاته وحياته وبدلا من أن يكون المال وسيلة سيصبح غاية فى حد ذاته وهدفا يسعى إليه بشتى الطرق حتى لو كان فيه إذلالا لرجولته وامتهانا لكرامته وحطا من شأنه وقوامته لدى الزوجة التى ستستغل كل ذلك فى استعباده وإهانته وتحقير شأنه .

2- الحسب والنسب : ونضيف إلى ما سبق تبيانه أن الذى يطلب الوجاهة والشرف بالانتماء إلى علية القوم ذوي الحسب والنسب والجاه إنما يريد الانسلاخ عن بيئته وطبقته التى ينتمي إليها ولا غرو فى ذلك إن كانت الوسيلة والسبيل شريفاً لا يجلب لصاحبه المهانة أو الذِلّة ولا يحمل فى طياته التبعية والدونية والتنازل عن كثير من القيم والأخلاق والمبادئ . فعلو الشأن يكفله احترام الذات لا الجاه ولا الحسب . ورفعة المنزلة تضفيها وتسوسها الأخلاق الحميدة والخصال الكريمة . فكم من أناس ذوي وجاهة اجتماعية

يتحلون بصفات وسجايا مقيتـــة مـــن الغلـــو والاســـتكبار والاستعلاء ووضاعة الأخلاق وترديها فيعتبرون كل نقيصة لديهم ميزة تدفع بهم إلى التفرد والطبقية والتعالى مدعيـــن أنهم متحضرون أو (اسبور) أو مجارون للتقدم والرقـــي . حتى أن العزة بالإثم تأخذ بألبابهم ونفوسهم إذا ما عارضتهم فى رذيلة يرتكبونها (كشرب الخمور أو المسكرات أو لعب الميسر) أو خاصمتهم فى رأى غير صـــائب و يعمـــدون دائماً إلى تهميش من يتعاملون معهم بحكم أنـــهم أصـــلاء ونبلاء وذوي حيثية ومكانة . وكما نعلم فإن الملكوت كلـــه بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء دونما أســـباب أو مبررات . فالأصل فى الناس جميعا أنهم لآدم كمـــا قـــال رسول الله (ﷺ) :

* كلكم لآدم . وآدم من تراب .

ولا سبيل للتفاخر و التباهي والتعالى بين البشـــر لأن الميزان والمعول عند الله تعالى هو للتقوى وليس للـــون ولا للحسب ولا للثراء أو الوجاهة الاجتماعية والطبقة العلميـــة التى ينتمى إليها الفرد.والحسب والنسب قد يشـــوبه شـــائبة فتعكر صورته لسبب أو لآخر والمكانة الاجتماعية تتعرض

لكثير من الهزات والابتلاءات التى قــد تقلــب الموازيــن الطبقية كما يحدث ذلك بعد الثورات الاجتماعية أو تغيـــير نظم الحكم أو عند إلغاء الألقاب أو مثلما يحدث بالتأميم مثلا أو المصادرة :

* قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملــك ممن تشاء . وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء . بيدك الخـــير إنك على كل شيءٍ قدير[109].

* وتلك الأيام نداولها بين الناس [110] .

ويوماً تتقطع الأنساب بين الناس ويكون الحساب على أساس العمل والإيمان :

* فإذا نفخ فى الصور فـــلا أنســاب بينـــهم يومئــذٍ ولا يتساءلون [111].

وكل إنسان يُحاسَب على ما قدمت يداه لا على مدى وجاهته فى الدنيا أو انتسابه لعلية القوم فإن هذه منازل الدنيا ومعاييرها أما الآخرة فمعيارها الإيمان والتقـــوى والعمــل الصالح .

3- **الجمال** : وجمال الأشياء والمخلوقات بصفة عامـــة يبهج للإنسان كجمال الزهور وقوس قزح حيث ألوان الطيف

وجمال الأسماك الملونـــة وجمـــال المبـــاني والسيــــارات وغيرهـــا . والجمال الإنساني تتفاوت درجة الإحساس بـــه والتقدير له من شخص لآخر ولكن هناك جمالاً قد لا يختلف عليه مئات أو آلاف من الناس . وهو الجمال الطبيعي غــير الصارخ وغير الصناعي الذى يلجأ للمكياج وكافـــة أدوات الزينة لابرازه . وهناك أيضا الجمال الـــهادىء أو الكـــامن الذى يبرزه ويؤصله خفة الروح (خفة الـــدم) والملاحـــة البيئية (كما يظهر ذلك جلياً فى البيئة البدوية) وهناك جمال الخُلُق وهدوء الطباع ورِقّتها ما يضفى جمالاً خاصا علـــى صاحبته . وهناك درجات أخـــرى مـــن الجمـــال يتفـــاوت الإحساس به من شخص لآخر فقد تُعجِب المـــرأة الشـــقراء رجلاً ولا تعجب الآخر . وقد تـــأخذ المـــرأة ذات العيـــون الواسعة الفاحمة أو الملونة بعقل رجل ولا تثير اهتمام رجـل آخر . وقد تعجب السمراء رجلا ولايطيقها آخر . وأيضـــا القوام والشعر والبدانة أو النحافة والطول أو القصر إلى آخر مثل تلك الصفات التى قد تعجب رجـــالاً ولا تثـــير اهتمـــام آخرين . فالجمال والاحساس به أمر نسبي يتوقــــف علـــى الأمزجة ودرجة الثقافة والاهتمامات والهوايات والمواهـــب وأيضا يتوقف على الحالة المزاجية فقد يُعجَب رجل بـــامرأة

لبعض الوقت أو للحظة ولا يهتم بها فى وقت آخر . والحالة المزاجية تلك هى المسئولة عن اختيار رجل لامرأة دوناً عن غيرها متصوراً أنها ملاك أو حورية لم تتكرر وأنها خُلقت من أجله وحده فيهيم بها ويتمنى لو امتلكها واستأثر بها دوناً عن بقية الناس . ويظل خياله يصور له مزاياها المتعددة دون تبصر العيوب اطلاقا فيميل إليها ويتحرق لمرآها وقد يتعلق بها قلبه فيجمح هواه إلى درجة الجنون بها ولا يرضى عنها بديلا . وإذا ما اقترن بها وجد أنها بشر وليست ملاكا . ووجد فيها من العيوب ماكان غائبا عن بصره وإحساسه . وتزداد حالة الفتور لديه بعد أن كان عاشقا متيما . ويفيق أخيراً - بعد فوات الآوان- على حقيقة الوهم الذى منّى نفسه به ولم يجده كما تخيل . وتصبح بالنسبة له (امرأة عادية) كغيرها وينعى حظه ويلوم نفسه ويتهم نفسه بالقصور فى الرؤية والتسرع فى الأحكام وينفر منها ولا يطيق معاشرتها بعد أن اكتشف (بشريتها) ورأى منها المساوئ والعيوب والرذائل كأن تكون سليطة اللسان أو تكون كسولة أو كؤد و (نكدية)،أو تكون تافهة الفكر والثقافة والفهم،أو تكون مسرفة متدللة نرجسية لا تحب إلا نفسها أنانية،أو قد تكون غيورة أو متعالية تظن أن جمالها

يفتح لها أبواب التحكم وإذلال الرجال . وهنا يفيق الرجل على حقيقتها فيسعى للانفصال عنها ويذهب – في رحلة جديدة – ليبحث عن غيرها . ولتكن الوافدة الجديدة أكثر جمالا لإغاظة الأولى . أو أكثر شباب أو أكثر طاعة من زوجته الأولى .. الخ . وهكذا يظل الزوج في دوامة البحث عن الجمال وصفات الدلال متناسياً أن الزمن يجور على الجمال ويطمسه وأن ما تبقى من المرأة هو حُسْن الخصال وطِيب الخِلال وفضائل الخُلُق والأعمال . وهكذا الحال مع معظم– أو كل – من يبحث عن الجمال وحده ليكون دافعه إلى الاقتران ناسيا أن الجمال الصارخ يشقى ولا يشبع كما يظن الكثير من الناس وأن الجمال وحده لا يكون كافياً لاستدامة الحياة الزوجية على المودة والرحمة وإنما الكثير من المنغصات ستطفوا على السطح كالغيرة وحب التجديد والسعى والبحث عمن تكون أكثر جمالا ورِقّة كل فترة من الزمن . لأن الرجل الذى يغريه الجمال وحده للاقتران بصاحبته سيظل طيلة حياته يسعى وراء الأكثر جمالا ونضارة وشبابا . ومن هنا إذا كان اختيار الرجل للزوجة مقصوراً على الجمال وحده فلن تدوم الزوجية بعد انحسار الجمال وذهاب النضارة والشباب . والجمال وحده لا يكفى

لاستجلاب السعادة الزوجية ولا للتغطية والتعمية وطمس كافة العيوب التى تتراءى – فيما بعد – من المرأة الجميلة. وليس معنى ذلك التزوج بالمرأة الدميمة للحصول على السعادة الزوجية وإنما الجمال إذا لم يكن قرين حُسْن الخلق وسلامة الطباع وقبل ذلك الإيمان الذى يكفل طاعة الزوجة للزوج وتعاونها معه لاستمرار ونجاح الحياة الزوجية وبناء الأسرة فإن ذلك الجمال يكون وبالاً على بيت الزوجية .

وخير الأمور الوسط حيث ينصح النبى (ﷺ) من يريد خطبة امرأة ليتزوجها:

* إذا خطب أحدكم المرأة فقد أن يرى منها بعض مايدعو إلى زواجها فليفعل.

وقال (ﷺ) للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة :

*انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما.

أى أنه أجدر– بالنظر – أن يحصل بينكما الموافقة والملائمة :

* الأرواح جنود مجندة . ما تعارف منها ائتلف . وما تناكر منها اختلف .

* إياكم وخضراء الدِمَن. قالوا وما خضراء الدِمَن ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وكل هذه النصائح من الرسول الكريم أحرى بالرجل والمرأة أن تكون بينهما نظرة الرضا والتفاهم والعزم على بناء بيت للزوجية دعائمه المودة والرحمة والاحترام والتراضي .

4- ذات الدين : أي المرأة المؤمنة العفيفة الطاهرة التي تعرف حقوق الزوج فتبادر إلى تقديمها دون طلب وتسارع في رتق الفتوق الناشئة بين الزوجين فلا تغالي بطلباتها ولا تمكر ولا تتصيد الأخطاء ولا تنغص حياة زوجها بل تبادر إلى ملاطفته والتسرية عنه إن كان مهموماً وتعينه على نوائب الحياة ومشاكلها وتكون مدبّرة غير مسرفة وتحسن رعاية الأولاد وتربيتهم ولا تثير المشاكل أو تختلقها ولا تعصي الزوج إلا إذا عصى الله فيها . وقال (ﷺ) :

* لا طاعة لزوجٍ في معصية الخالق .

كأن يأمرها بفحشاء (أى ممارسة البغاء مثلا لجلب المال وخلافه) أو يمنعها تأدية العبادات والفروض وما إلى ذلك أو أن يأمرها بالتبرج عند خروجهما أو أن يكرهها على شهادة الزور لصالحه . والزوجة الصالحة المؤمنة تثلج صدر زوجها ولا توغره :

* الدنيا متاع . وخير متاعها المرأة الصالحة[112].

* ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته . وإن نظر إليها سرّته . وإن أقسم عليها أبرّته . وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله.

وهذان الحديثان الشريفان من نصائح النبي (ﷺ) للمؤمنين حتى يصلح شأن الأسرة وتدوم العشرة وتستقر الحياة الزوجية فى مهب رياح المشاكل الحياتية التى قلما تخلو منها أسرة .

وفى المقابل نجد أن الرسول (ﷺ) ينصح والد المرأة بحسن اختيار الرجل الصالح لابنته حتى يطمئن لاستقرار الأسرة الوليدة :

* تخيروا لنطفكم فإن العِرْق دسّاس .

* تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكْفَاء. (روته عائشة مرفوعا).

* إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير .

والفتنة تأتى من رفض الرجل المؤمن الصالح الذى يراعى حقوق المرأة ويتقى الله فيها . والفساد يأتى من اختيار الطالح الذى يسىء إلى المرأة ولا يراعى حقوقها وإذا ما أمسكها فيمسكها ضراراً واعتداء على حرمات الله . كما أن الرجل الصالح إذا ما وجد عيباً فى زوجته فإنه يقوّمه بالحسنى وينصح بالحكمة والموعظة الحسنة دون جور أو اعتداء أو نكاية وتشف :

* لا يفرك مؤمن مؤمنة . إن كره منها خُلُقاً رضى منها آخر (أو غيره)[113].

ومعنى يفرك أى يبغض منها صفة أو تصرف أو قول .

هذه هي أسس اختيار الزوجة وعلى قدر الرغبـــات والأهـــواء تكون العاقبة أما من اتبع نصيحـــة الرســول الكريم (ﷺ) فقد ضمن الفوز بالزوجة ذات الديــن التــى تحافظ على بيت الزوجية وتحفظ زوجها فى نفسها وتتقــى الله فى تصرفاتها فلا تبخس حقوق الزوج والأولاد ولا تتبع الأهواء وشياطين الأنس والجن فتشقى وتُشقي زوجها وتهدم بيتها وحين تفيق وتندم لا ينفع النـــدم بعــد فــوات الأوان وانفصام عرى الزوجية . الميثاق الغليظ الذى أخذه الله على كلا الزوجين حتى تنصلح الأسرة وينصلح المجتمع كله .

* * * * *

الفصل الخامس

الفياجرا وأخواتها

بدأ الإنسان حياته الأولى على الأرض باحثاً عن غذائه وشرابه وعن وسيلة تنقله من مكان لآخر لينتشر في الأرض وليعمرها متخذاً لنفسه من الدواب والأنعام ما يركبها وما يأكلها وما تصلح لنقل أغراضه من مكان لآخر . واستأنس من الحيوانات ما يساعده على كل ذلك وما يعينه على حراسة القطيع الذى يرعاه . أى كان الإنسان الأول رعويا وليس زراعيا . وبمضى الوقت وتطور الملكات واكتساب الخبرات تعلم الزراعة واستقر حول أحواض الأنهار والبحيرات العذبة وشتى مصادر المياه الدائمة كالآبار وعيون الماء . وأصبحت دلتا الأنهار من أكثر المناطق جذبا لمعيشة الإنسان واستقراره . ثم تطورت خبرات الإنسان وتعلم ارتياد المخاطر ومجابهة عوامل الطبيعة بعد أن كان يتخوف منها ويخشاها (الأمطار والسيول والعواصف والأمواج) وبدأت رحلته فى التنقل من مكان لآخر ومن سهل إلى جبل ومن جزيرة إلى قارة ثم أخيراً تمكن الإنسان مع التطور العلمى الكبير أن يرتاد الفضاء وأعماق البحار بحثاً عن مصادر أخرى للرزق وللثروات وتحديا للذات واثباتا لقدراته على الابتكار وسبر أغوار المجهول وتحقيقا لطموحاته التى بدأت بالخيال ثم

محاولات التجريب بين الفشل والنجاح ثم أخيراً ابتكـــارات واكتشافات ومخترعات فاقت التخيل والتصور خصوصاً فى العقود القليلة المنصرمة .

والإنسان منذ رحلته الأولى وخطواته الحثيثـــة فـــى الحياة على كوكب الأرض وهو يشاهد ويعايش ما يحـــدث أمامه ثم يحاول التجريب ثم يبتكر ويطـــور مـــا يتعلمـــه باستمرار . فقد شاهد النباتات وهى تتكاثر أمامه كلما تهيأت لها الظروف مثل توافر الماء والتربة الصالحة والبذور . ثم لا حظ الإنسان الطيور والزواحف وهى تنتقل مـــن مكـــان لآخر وتهيئ لنفسها أعشاشها وجحورها التى تؤى إليها إمـــا للبعد عن أعدائها وإما لوضع البيض واحتضانه حتى يفقس ويخرج الصغار الذين يتعلمون من الأبويـــن -أحدهمـــا أو كلاهما - كيفية مجابهة الحياة بالبحث عن الغذاء والمـــأوى والدفاع عن أنفسها فى مجابهة الأعداء . ثم لاحظ الإنســـان أيضاً الحيوانات المختلفة الأليفة منها - والتى استأنســـها - والمتوحشة وعاين بنفسه كيفية معيشتها وكيفية بحثها عـــن طعامها وشرابها ثم كيفية تكاثرها وتناسلها . وتعلـــم منـــها ومن الطيور طرق الملاطفة والغزل وكيفيـــة اســـترضاء

الذكر للأنثى أو جذبّ انتباهها والتودد إليـــها ثـــم اقناعـــها بممارسة التلقيح دون غضب أو قهر وإنمــــا الأمــر كلــه بالتراضى بين الذكر والأنثـــى علـــى اختـــلاف الأنـــواع والطوائف الحيوانية . ولأن الله قد حبا الإنسان بنعمة الفكـر والعقل واكتساب الخبرات والمدارك فقـــد راقـــب عمليـــة التناسل من بدايتها إلى نهايتها مرورا بالحمل والإرضـــاع – فى حالة الثدييات – وتعلم أيضا كيفيـــة رعايـــة الصغـــار وحمايتها وتربيتها حتى يشتد عودها وتستطيع أن تبـدأ دورة حياتية جديدة تحافظ بها على النوع من الانقراض . وكـــان مما تعلمه الإنسان من الحيوانات والطيور وغيرها هو حياة القطيع أو السرب الذى يماثله حياة العائلـــة أو القبيلـــة ثـــم المجتمع أو الدولة . وتزايدت خبرات الإنسان بملاحظاتـــه ومراقباته لشتى الكائنات حوله . وكان مما تعلمه الإنســـان هو فنون الغزل والملاطفة والمراودة ثم الممارسة الجنســـية التى تجمع له اللذة والمتعة الحسية بالإضافة إلـــى التكـــاثر وازدياد النسل وإعمار الأرض فى شتى البيئات والقارات . ولأن الإنسان بطبيعته مبتكراً ومحباً للتجديد وأيضا التقليـــد فى بعض الأحيان فقد قلد الطيور والحيوانات فـــى طـــرق

ممارستها الغريزية والحياتيـــة فتعلـم تسـلق الأشـجار والسباحة والجرى أمام الوحوش .. الخ .

وما لاحظه الإنسـان أن الحيـوان حينمـا يعتريـه الإجهاد أو الهِرَم تقل أنشطته المعتادة ويقل اهتمامه بالإناث حتى أن الإناث تبحث بدورها عمن يعوضها عن شـيخوخة الذكور من بين شباب القطيع حيث القوة والفتوة والنشـاط الذى معه تتم إشباع الغرائز وممارستها للحفـاظ علـى النسل . ولاحظ الإنسان فيما لاحظـه أن بعـض الذكـور الواهنة والعاجزة بسبب المرض أو الهرم والشـيخوخة أو بسبب إصابتها فى المعارك التى تحتدم بين أفـراد القطيـع الواحد أو مختلف الحيوانات تلك الذكور تلجأ إلى أعشـاب معينة تسوقها إليها البيئة فتعمد إلى تناول تلـك الأعشـاب ضمن غذائها وهنا يتبدل حال تلك الذكـور المريضـة أو العاجزة فتدب فيها نشاطات غير منكورة وتعتريـها القـوة الطارئة فتستطيع الجري والمزاحمة كشباب القطيع وتنتابـها إثارة ملحوظة فى الغرائز وتستعيد نشاطها المفقود وقوتـها الضائعة وتجرى هنا وهناك تقفز لتدلل على حيويتها أمـام الإناث التى قد تضطر للرضوخ لها فتمارس معها عمليـة

التلقيح دون حرج أو نفور ثم لا تلبث تلك الذكور المسنة أو المريضة أن تعود إلى حالتها الأولى بعد انتهاء الممارسة الجنسية من الخمول والوهن .

وتكرر الأمر مرات ومرات مما حدا بالإنسان الذى يغريه التجريب واكتشاف المجهول أن يتعرف على تلك الأعشاب ويقوم بجمعها بحكم حياته الرعوية الأولى ولأن تلك الأعشاب غير كثيفة الانتشار والنمو فقد كانت عملية البحث عنها والتعرف عليها وانتقاءها من بين الأنواع الأخرى تتطلب خبرة ومهارة أصبح يتمتع بها ويمارسها كبار السن وممن أصبح يطلق عليهم العشّابون (أى العطّارون) ثم لم يكتف الإنسان بجمع تلك الأعشاب والاحتفاظ بها ليستعملها وقت الضرورة وإنما كان يقوم باكتشاف أنواع أخرى غير تلك واستعمل المنهج التجريبي العلمى الحديث الذى هداه الله إليه فقام بإعطاء تلك الأعشاب للحيوانات الضعيفة المسنة والمريضة ولاحظ مفعول تلك الأعشاب عليها وكرر التجربة لمرات عديدة قبل أن يبدأ بتعاطيها هو شخصيا . وكان مما اهتم به الإنسان المجرب أو المتخصص (العطّار أو العشّاب) هو معرفة الكمية اللازمة من ذلك العشب والتى تعطى النتائج المرجوة دون

أن يكون لها آثاراً جانبية أخرى غير مرغوبـــة . وكذلــك أيضا تعلم الإنسان بكثرة الملاحظة والتجريب موعد حصاد وجمع تلك النباتات البرية المتناثرة فى الصحراء والهضاب والجبال ومتى تكون المادة الفعالة فيها كــأكثر مــا تكــون تركيزاً ومفعولا فلاحظ مما لاحظه أن بعض تلك النباتـــات والأعشاب يُفضَّل جمعها فى الصباح الباكر أو بعد الغروب دوناً عن باقى ساعات النهار . وأن الأوراق قد تكون أكــثر تأثيراً وتركيزاً فى مادتها الفعالة عن الســيقان أو الجــذور وأن الزهور أو الثمار قد تحتوى على المادة الفعالة بنســبة أكثر فاعلية مما فى الأوراق وفى بعض تلـــك الأعشـــاب تكون الجذور هى ذات التأثير الأغلب والأقوى .. الخ . أى أن الأمر لم يكن وليد مشاهدة فتجريب فالحصول على نتائج فورية وإنما خضع ذلك لأزمان وتناقلت خبرات وصلتنا فى العصر الحديث حيث تم اكتشـــاف المـــواد الفعالـــة لتلـــك الأعشاب وفصلها ومعرفة الكميات اللازمة منها لإحـــداث الأثر المطلوب كما حددت العلوم النباتية والصيدليـــة كـــل المعارف من مفعول وتأثيرات لتلك الأعشاب – وما يســتجد اكتشافه منها – بحيث أصبح الآن الكثير مـــن المعلومـــات عنها وعن جرعاتها وكيفية تعاطيها والصـــور والأشـــكال

الصيدلية التى تستخدم لإحداث الأثر المطلوب من موعـــد جمع تلك الأعشاب وعمر العشب الذى يحتوى على المـــادة الفعالة وكيفية استخلاص المواد الفعالة وجرعاتها وكيفيـــة تعاطيها (أقراص – حقن–دهانـــات – ســفوف .. الــخ) وأيضا جرت محاولات مستمرة للاكثار من تلك النباتـــات واستزراعها (فى غير بيئتها الطبيعية) ســـواء للدراســة العلمية أو للاستفادة الطبية منها بطريقة أقل تكلفة وعنـــاء . ومع التطور العلمى أصبح العطّار (العشّاب) ذو الخـــبرة المتوارثة من قديـــم الأزل لا تســـعفه خبراتـــه المحـــدودة والبدائية للخوض فى ذلك المجال وحده دون تدخـــل العنــ والتقدم العلمى المتمثل فى الدراسات الصيدليـــة والنباتـــات للحصول على أدق المعلومات وأجدى التـــأثيرات الطبيــة والعلاجية فى ذلك المجال والمجالات الأخرى المماثلة مثــل استخلاص المواد الفعالة المختلفة من شتى النباتات البريـــة والزراعية والتى تعالج شتى الأمراض والاحتياجات الطبيــة (المقويات ومكسبات المناعة والمواد الغذائيـــة العلاجيــة وغيرها).

ومما نقل إلينا من العطارين وغيرهم نباتات جبلية وأعشاب يطلق عليها اسم (شرش الزلوع) وهى أعشاب جبلية موجودة بكميات مناسبة فى هضاب وجبال ومرتفعات سوريا ولبنان وهم يطلقون عليه الآن اسم (فياجرا لبنان) أو (فياجرا سوريا) حيث لاحظ الرعاة هناك تأثيره على ذكور الماعز الجبلى الذين ازداد نشاطهم وكفاءتهم الجنسية بدرجة كبيرة حيث كان يعمد ذكور الماعز الجبلى إلى تناوله . وهناك نباتات وأعشاب أخرى كثيرة اكتشف لها نفس التأثير – المنشط – الجنسي الواضح ولها أسماء مختلفة فى شتى بقاع العالم منها جذور الجنسنج ودرنات الفقع وزيت جنين القمح وأخشاب الفحولة وخلاصة أوراق نبات الجنكوبيلوبا واليام المكسيكى وجذور القشاغ المكسيكى والبورون والعشب المسمى ترليوم إراكتم والعشب النادر تريبلوس تيريسترس ونبات جونوكولا والجنسنج الكورى والسيبيرى ونبات الشيزاندرا شابنيس وأعشاب الداميانا والسارساباريلا والأويستر والكايين وجوز الطيب وغيرها الكثير وأيضا الخضراوات كالجرجير والبقدونس . ولم يقتصر الأمر على الأعشاب والنباتات وإنما –مع التقدم العلمي والاكتشافات – تعداه إلى غذاء

ملكات النحل ومستخلص البلميط المنشاري (من الأسماك) وكذلك بطارخ السمك الطازجة والمجفدة (على هيئة كبسولات) وزيوت كبد الحوت والتمساح وقرن الخرتيت المسحوق وغيره مما يكتشف العلم تأثيراته الخاصة في إضفاء النشاط والقوة الجنسية ومداواة العجز الطارئ أو المستديم نتيجة لأمراض عضوية أو شيخوخة مبكرة أو حتى متأخرة أو إجهاد جسماني وعضلي مما له من التأثيرات على القوة أو النشاط أو الرغبة الجنسية . وأيضا تستخدم القواقع البحرية والجمبري والاستاكوزا كمأكولات ذات تأثير معروف نظراً لاحتواء تلك البحريات على مادة الفوسفور المنشطة . وكل تلك النباتات وغيرها مما ذكرناه يندرج تحت مسمى المنشطات الجنسية ومكسبات القوة والفحولة . ولكن هناك ما يندرج تحت مسمى المكيفات والمواد المخدرة النباتية والتى لوحظ أن لها تأثيرات منشطة على الحالة الجنسية أيضاً ومنها أوراق نبات القِنْب الهندي (الحشيش) والمادة اللبنية الراتنجية التى يحصل عليها بتشريط ثمار نبات الخشخاش (الأفيون) ونبات الكولا والكوكا وغيرها . ومعظم مستخلصات هذه النباتات تحتوى على مشتقات الكودايين والكوكايين والكافيين

والأبومورفين . والأبومورفين هذا لوحظ أن لـــه تأثـــير مماثل لما تحدثه حبة الفياجـــرا بالنسبة للنشاط الجنسـي (وليس للرغبة) وقد قامت أحدى شركات الأدوية بتصنيـع عقار من مادة الأبومورفين وأطلقت عليه اسم (يوبريمـــا) ويؤخذ تحت اللسان مع بداية مباشرة العلاقة الجنسية بيـــن الزوجين فيعطى نشاطا ملحوظا وفعالية فـــى الأداء لمـن يعانى من حالات الضعف الجنسى (الارتخاء) . وكثـــير من شركات الدواء تبحث عن الجديد وتجـــرى التجـارب والأبحاث العلمية فى هذا المجال لوفرة الأربـــاح الماليـة الناتجة عن تصنيع مثل تلك العقاقير وتداولها على مســتوى العالم . وهناك من الأعشاب ما يستعمل موضعيا (دهـــان موضعى لعضو الذكورة في الرجل) وأيضا هناك مراهـــم وكريمات ورذاذات (إسبراى) تستخدم موضعيا للغـــرض نفسه وتحتوى على المواد الفعالة الســابق ذكرهـا ســواء المنشطة أو المخدرة وكذا المواد التخليقية الصناعية التـــى ثبت أن لها نفس المفعول وإن اختلفت فى درجة الفاعليـــة وقوتها واستمراريتها وينضوى تحت هـــذه المـــواد مـــواد تستخرج من الحيوانات البحرية ومن الأعشاب النباتية ومن

المواد الصناعية المماثلة فى التركيب الكيمــــاوى لتعطـــى التأثيرات المطلوبة .

وتمادى الكثير من الناس من قديــم العصـــور فـــى تعاطى واستخدام تلك العقاقير وغيرها سواء عـــن طريـــق الكهنة أو المشعوذين أو العطـــــارين وذوي الخـــبرة مـــن العشّابين وفى العصر الحـــــديث مـــن مصنّعـــي الـــدواء والعقاقير . وفى كثير من الأحيان كان يوصف النبيذ وشتى أنواع الخمور لإحداث نفس التأثير . ومعظم تلك الخمــــور تُصنع بتخمير العنب أو التمـــر أو العســـل أو الحنطـــة أو الشعير أو ماشابه ذلك وهى إن كانت تعطى تأثيراً واضحـــا فى إثارة الغرائز ونشاطا ملحوظا فى الناحية الجنســـية إلا أنها ذات تأثيرات خطيرة على أجهزة الجسم الداخلية ومنــها العقل والكبد والطحال وغيرها . وقد حرمها الله لما لها مـــن تأثيرات مُسّكِرة تدفع الإنسان إلى ممارسة الرذائل وارتكاب الموبقات نظراً لغياب الفكر والتدبر والوعي حال تعاطيــها لمخامرتها العقول بالتغييب عن الادراك السليم والتصـــرف الواعي العاقل . ولذا حرم الله المُسْكِرات والخمور بجميـــع مسمياتها وأشكالها :

* ياأيها الذين آمنوا إنما الخمـــر والميسـر والأنصـاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضــاء فـى الخمر والميسر (القمار) ويصدكم عـن ذكـر الله وعـن الصلاة . فهل أنتم منتهون [114] .

وعلة تحريم الخمور بكافة أشكالها ومسمياتها أنـها تذهب بالعقل وتفسد التصرفات والأقوال والأفعال حتـى أن الله وصفها بالرجس (أى الخبيث والقذر والنجس) وأنـها من عمل الشيطان الذى يزين للناس الرذائل وكأنها أمـور محمودة وطيبة ولا غبار عليها . ومن يتعاطى المسـكرات والمخدرات يجد أن صدره يصبح ضيّقاً سـريع الانفعـال وكثير الغضب فتشب المعارك بينه وبين إخوانـه وتـزداد البغضاء والعداوة بينه وبين أقرانه ممـا يدفـع المتعـاطي للخمر والمعاقر لها لارتكاب أفظع الجرائم مـن السـرقة والنهب والقتل والاغتصاب والاعتداء على الآخريـن بـل والوقوع فى رذيلة الزنا حيث يبحث عن تفريـغ لشـحنات الإثارة التى لحقت به وقد يقع فى زناه على المحرمات مـن أهل بيته لأنه يكون غائباً عـن الوعـي والإدراك السـليم

وعندما يفيق لا يتذكر ما فعله وهو تحت تأثير الخمر المسكر بل وينكر ما حدث منه معتقداً أنه لم يفعل شيئا .

٣ وآفة متعاطى المسكرات والمخدرات أنه يصبح لها مدمناً فى فترة وجيزة حيث لا يستطيع الاستغناء أو الامتناع عنها مهما حاول ويستدعى الأمر لكى يبرأ منها ومن إدمانها وتأثيراتها الخطيرة أن يلجأ إلى مصحة متخصصة للاستشفاء منها وقد يعود إليها فيما بعد . وتأثيراتها الخطيرة كما ذكرنا من قبل على العقل وعلى كافة أجهزة الجسم قد تفوق كثيراً الفائدة المرجوة منها فى إحداث نشاط جنسي أو إثارة تعالج العجز الجنسي أو الخمول أو الضعف الذى ينتاب بعض الرجال.وفى المجال الطبي والعلاجي إذا كان الدواء ذا آثار جانبية كبيرة يُلغى ويوقف استعماله . لأن درجة أمان تعاطى العقار مرتبطة بإحداث الأثر الطبي المرجو وفى ذات الوقت تكون الآثار الجانبية فى حدّها الأدنى أو منعدمة تماما . وأحيانا كثيرة تدفع المسكرات والخمور متعاطيها إلى استمراء الممارسات غير الشرعية كالزنا وأحيانا اللواط (فى الرجال) أو المساحقة (فى النساء) للتمتع الموهوم باللذة الجنسية والمتعة الوقتية حتى

يصير الهوس الجنسى والفوضى وممارسة الفواحش مـــن نتائج استخدام تلك المسكرات والخمور وعليه تنتشر حفلات الدعارة السرية والعلنية ســـواء الفرديـــة أو الجماعيـــة . والغريب أنه فى تلك المنتديات المتردية أخلاقيــا لا يكـــون الهمّ العام لهؤلاء الممارســـون إلا إدمـــان تغيــب العقـــل بالمسكرات (الحشيش والأفيون والبـــانجو والكوكـــايين) والخمور (النبيذ والكونياك والويسكى والروم وغيرهـــا) وممارسة الفجور بكافة أنواعه مـــع الموســـيقى الصاخبـــة المثيرة للغرائز وكأن الدنيا ما هي إلا ممارســـات جنســـية حيوانية وشهوانية ولا مجال فيها للعقل وكل ذلك مرجعـــه إلى الرغبة فى البحث عن المتعة بشتى الوسائل والاستزادة من النهم والهوس الجنسي وتفعيل الرغبات المجنونة وإيقاظ الشهوات الجامحة . وكل ذلك هو الطريق الأساسي والـــهام لاضمحلال الحضارات واندثار الأمـــم رغـــم أن هـــؤلاء العابثين يظنون ويعلنون أنهم بأفعالهم المشينة تلك يحـــررون أنفسهم من العقد والمشاكل والكبت والإحباط :

* ***وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففســـقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (115).***

لأنه بالغلو والانحلال الخلقي والانحـــراف المـــادي والعقلي يكون السقوط المروع للأمم والجماعات والأفـــراد حيث تشيع الفاحشة فى المجتمعات وتضيع الحقوق وتختلـط المفاهيم والأنساب وتتردى وتنحط الأخلاق ويضيع الديـــن الذى هو الحارس والموجه والمقنن للحياة السوية للبشر فـى الدنيا . ***فقضاء الشهوات فى إطارها الشرعي الصحيـح لا غبار عليه . والعلاقات السوية بين الرجل والمـــرأة فى محيط الزوجية لا غرو فيه ولا عتب . والممارسات الطبيعية المتوازنة هى أســـاس منـــع ودرء الســقوط والزلل والانفلات الاجتماعي والخلقي*** وفـــى شـــرع الله ونصائح رسول الله (ﷺ) ما هو مجدٍ ونافع لصالح البشـــر جميعا . فليست الدنيا تحقيق الشهوات والمتع بانفلاتٍ غــير محمود وليست الحرية والتقـــدم إلقـــاء التعـــاليم الدينيـــة والشرعية خلف الظهور . بل يجب على الإنســـان العـــاقل الراشد أن يعلم ويدرك أن ما شرعه الله وأباحه هو لصـــالح البشر أجمعين فى إطار الوسطية التى أشرنا إليها من قبل . والاعتدال فى كل الأمور هو المطلوب . والفطرة الســـليمة تأبى أن يتنازل البشر عن إنسانيتهم وينحدرون إلى البهيميـــة

والحيوانية وإن كانت الحيوانات بريئة من هذا الوصف كما بينّا من قبل (لا تمارس الحيوانات الفواحش ولا تمارس الجنس إلا بغرض التناسل والحفاظ على النوع وتتوقف عن الممارسة بمجرد الحمل) . والله الخالق يعلم ما يصلح شئون خلقه وحياتهم وما شرعه هو الحق والصواب وليس فيما أمرنا الله به تضييق أو إعنات أو إعسار للناس :

* ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[116].

* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [117].

والرسول الكريم (ﷺ) يحدد المفاهيم ويصححها ويضع النقاط فوق الحروف فيمن انتهج طريقا حسب مراد الله أو تنكب الطريق وسار وراء شهواته ورغباته لايلوى على شيءٍ ولا يؤمن بالحساب أو البعث والنشور :

*عن عمر بن الخطاب . قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

إنما الأعمال بالنيّات . وإنما لكل امرىء ما نـوى . فمـن كانت هجرته إلى الله ورسـولـه فهجرتـه إلـى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها (يتمتع بشهواتها دون حساب) أو امرأة ينكحها (يتزوجها) فهجرته إلى مـا هاجر إليه(118) .

وليس فيما نقول تحريض علي الزهد فى الدنيا ومـا فيها والإعراض عنها إنما المقصود هو تصحيح المسـيرة وتقويم الاعوجاج ودرء المفاسد وتحقيـق مـراد الله فـى الإنسان من إعمار الأرض وخلافتها على منهج الله الخـالق الذى يهدينا ويدلنا على ما يصلح شـأننا ويقينـا نزغـات ووساوس وشرور الشيطان عدو الإنسان الأول والدائم إلـى قيام الساعة .

ومما تقدم تبين لنا أن الإنسان فى رحلة بحثه عن ما يعالج عجزاً طارئاً فى قواه الجنسية أو فى سبيل تحقيق قوة وفحولة مرجوة أو مصطنعة لجأ إلى الطبيعة يتعلـم منـها ويداوى نفسه ويجبر عجزه أو قصوره . وفى رحلته تلـك عبر العصور والتطور الحضاري والعلمي انزلقت قدمـاه إلى المحظورات والموبقات فتعاطى المنشطات ثم ما لبـث

أن لجأ إلى المسكرات والخمور ثم ما لبث أخيراً أن لجأ إلى العقاقير التخليقية مثل عقار (الفياجرا) وخلافه . ولم تقف به الطموحات أو الأماني عند حد جبر العجز أو تطبيب المرض أو الضعف الذى له أسباب كثيرة سنعرض لها بعد حين . ***ولكن هذا الإنسان نفسه تخطى كل ذلك ليتعاطى العقاقير والأعشاب والمسكرات والخمور وغيرها ليزيد من قواه الطبيعية التى أودعها الله فيه . فنرى الأصحاء والمعافون وهم يتعاطون هذه الأشياء بغرض استجلاب القوة القاهرة والنشاط الفاجر والتأثير السريع والمستديم ليطيل من أمد الممارسة الجنسية ولتصبح نوعاً من المغالاة والاصطناع والمبالغة فى إظهار القوة والنشاط والفحولة دونما سبب حقيقي أو مرضى يستدعى التعاطي . وأصبحت الأمور لا تخرج عن طور التقليد والتجريب والهوس الجنسي والنهم والمباهاة والافتخار بين معشر الرجال ناسين الطرف الآخر والشريك المتضامن والصنو الدائم فى الحياة الزوجية ألا وهى المرأة*** . وكأنه لا دور لها فى تلك الحياة إلا التلقي والاستجابة لرغبات الزوج الرجل الذى يهمل الكثير

من الأمور الأخرى الهامة واللازمة لتحقيق الانسجام العاطفى والتوافق النفسي وهو ما سنعرض له فى الفصل التالي إن شاء الله .

بحث الرجل عما يقويه وينشطه ويعيد توازنه ونشاطه وتمادى بعد ذلك فى استخدام كل تلك الأشياء المساعدة والمعينة وأصبح أكبر همّه إثبات رجولته وشبابه حتى ولو بلغ السبعين أو يزيد ناسياً أن الله قد أودع فى الإنسان فطرة المرور بأطوار مختلفة من حالات القوة والضعف :

* الله الذى خلقكم من ضعفٍ (الطفولة) ثم جعل من بعد ضعفٍ قوة (الشباب) ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفاً وشيبة (الكهولة والهرم) يخلق ما يشاء وهو العليم القدير(119).

* قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً (120).

وهذه سنّة الله فى خلقه . فلا الشباب يعود أبدا . ولا القوة تدوم أو تستمر . وبالتالي فإن الإنسان فى كل مرحلة من مراحل حياته له اهتمامات ومتطلبات تتغير وتتبدل والمعول فى ذلك هو الملاءمة والاستطاعة الطبيعية فى

تأديتها . وكما أن الرجل يتبدل به الزمان فإن المرأة أيضـــا تختلف متطلباتها ورغباتها من آن لآخر ومن مرحلة عمرية لأخرى . وإلكل حسبما أودعه الله فيه من قدرات ورغبـــات وطموحات . ***أما اصطناع الرغبـــات وتأجيجـــها علـــى خلاف سنن الله فى خلقه فمآله النتائج الوخيمة التى قد تؤدى إلى تحلل وتفكك عرى الزوجية أو تفضى إلـــى انحلال خلقي لدى الزوجين أو أحدهما أو قـــد تمضـــى بسفينة السكينة والمودة والرحمة إلـــى مرفـــأ الخلـــل والاضطراب والتعثر حيث الشقاق يدب وعدم التوافـــق الجسدي والنفسي*** يحل . والتنافر الذى قد يجيء بعد فـترة أولية من الهدوء والانصياع أو الاقتناع الذى ما يلبـــث وأن يتحول إلى تباغض وتنافر وإجهاد بدني ونفسي فوق الطاقة لتقدم العمر ولتبدل الاهتمامات ولتراوح الرغبات وتباينـــها بتأثير الهرمونات الجنسية لدى الزوجين والتى نضب أو قل معدلها ومعينها فى الجسم ***وتلك الهرمونات هي المسئول الأول عن تبدل الرغبات بين الخفوت والانزواء وبيـــن التوهج والاشتهاء*** . وبصفة عامة قد تختلف فترة القبـــول والمجاراة ومبادلة المشاعر بين الزوجين فى بدء تعـــاطى

تلك المنشطات والمقويات ليحل محلها فترة وسيطة من القبول على مضض والمداراة على استحياء وتحمل الآلام الجسدية والنفسية . خصوصا من الزوجة اتقاءً للخلافات على كِبَرٍ وطول العشرة ثم تحدث الطامة الكبرى بعد ذلك بانفجار الوضع الذى أصبحت فيه الزوجة لا تطيق ولا تتحمل الممارسة المصطنعة ودوامها فتحل الظنون بالرجل ويعتقد أن زوجته تحب غيره أو أصبحت تكرهه ويعلن تمرده بالبحث عن زوجة أخرى تجاريه فى نشاطه المصطنع ويا حبذا لو كانت الزوجة الجديدة المفترضة من صغار السن لتزيد من متعته وتعينه على ارتشاف الكأس حتى الثمالة . وقد يحدث كما قلنا وأسلفنا أن تثور الرغبات لدى المرأة بعد أن كانت كامنة مستكينة وبعد أن كان يكفيها إبداء المشاعر الرقيقة والعواطف من زوجها تجاهها تثور الرغبات وتعصف بالعقل فتطلب المزيد من زوجها فلا يستطيع مجاراتها بحكم حالته الصحية والجسدية وتقدمه فى العمر فتدفعه إلى مزيد من التعاطي بحثاً عن مزيد من المتعة واللذة ويصلا فى نهاية المطاف إلى نفق مظلم قد يكون نهايته انحراف الزوجة التى تعودت – من جديد – على المزيد من الممارسات بعد أن اكتست ورضت بالقناعة

وقد يحل بالزوج الانهيار الصحي الذى يفضي إلى هلاكــه. ***وكل ذلك بسبب الإفراط والانخراط فى أمور ضد السنن الطبيعية فى الخلق من وجود فترات ضعف لتقدم العمر وانخفاض معدل الهرمونات داخل الجسم وقلة القــدرات واضمحلالها بمضي الزمن .***

أما استخدام تلك العقاقير فى العمر المتوســـط فقــد تؤتى ثمارها دونما مشاكل ملحوظة ولكن فى المدى البعيــد قد تحل شيخوخة مبكرة لدى الزوج نتيجة الإفراط ونتيجـــة توقف عمل الهرمونات الطبيعية فى الجسد كـــأثر مباشــر لتعاطى هرمونات خارجية فيتوقف الجسم تلقائيا عن إفراز هرموناته الجنسية حتى يصل معدلها إلى الصفر وبالتـــالي يكون الرجل مؤهلاً لحدوث شيخوخة مبكرة قد يصلها وهـو دون الخمسين .

ومن جملة ما سبق إيضاحـــه نجــد أن الأمـــور الطبيعية دائما تفضي إلى حياة طبيعية مستقرة آمنـــــة دونما مشاكل أو هزات . والحاجة والرغبة إذا ما كانت فى إطارها الشرعي دونما غلو وإفراط ستفضي حتمـــا

إلى انسجام وتوافق بين الزوجين دون التجاء إلى المنشطات أو العقاقير أو استخدام الهرمونات الخارجية دون داع أو ضرورة . فالحياة الزوجية ليس عمادها الممارسة الجنسية فقط والتى تستمر لدقائق معدودة وإنما قوامها سكينة الروح وتجاوب الفكر ومبادلة العاطفة وإضفاء الرحمة والمودة والقناعة والرضا بجانب قضاء الوطر وممارسة الشهوة دون إفراط أو مغالاة تصل إلى حد النهم والهوس وينتج عنها الوهن والمرض (مثل التهاب غدة البروستاتا فى الرجل أو الالتهابات الداخلية فى المرأة) والوسطية كما ذكرنا من قبل والاعتدال هو سيد الموقف وصمام الأمان لكافة التقلبات والاضطرابات والخلافات الزوجية .

وكما هو معلوم فإن حاجة الجسم لتلك المنشطات (أو المكيفات) تختلف من شخص لآخر ولكن بعد مدة من التعاطي تتزايد الحاجة لجرعات أكبر حتى يصل فى نهاية المطاف إلى انعدام التأثير . وخطورة ذلك الأمر تكون أشد فى حالة تعاطى المسكرات والمخدرات مثل الحشيش أو الأفيون أو الهيروين والكحوليات . وتأثير ذلك على

الأصحاء كبير فما بالنا بالمرضى والمسنين . والإنسان – أى إنسان – إذا ما سار خلف شهواته ليشبعها بشتى الوسائل فإنه لن يشبع مطلقا لانتفاء القناعة لديه . وميكانزم (أى آلية) هذه العقاقير تتراوح بين تنشيط مراكز الإثارة الجنسية والغرائز فى المخ وبين إضفاء الشعور باللذة (أو تأخير وإطالة أمد حدوثها) وأيضا تنبيه النهايات العصبية فى الأطراف لإحداث الأثر المطلوب أو عن طريق توسعة الشرايين والشعيرات الدموية لمزيد من تدفق الدم فى عضو الذكورة لإحداث الانتصاب اللازم لإتمام العملية الجنسية وحدوث النشوة ولذة الجماع للرجل والمرأة على السواء (وهذا هو ميكانزم الفياجرا ومثيلاتها) . أما آلية عمل الخمور وما شابهها فإنها تقوم على إحداث تدفق الدماء فى شرايين وشعيرات الجسم كله – ومن ضمنها الأعضاء التناسلية – بطريقة أكثر من الطبيعي فتحدث سخونة للجسم كله وإحماء وتدفئة تثير كوامن الغرائز والرغبات والشهوات ولكن دون إحساس أو إدراك أو وعيٍ عقلي حتى أن المتعاطي قد ينتهي من العملية الجنسية أو لا يكملها وهو غير مدرك . وكل تلك الآليات الفسيولوجية أو الميكانيكية أو العصبية قد تحدث أثرها بأحاسيس أبعد ما

تكون عن (الطبيعية) ســواء بالإيجاب أو السلب وقد تفقد رونقها ولذتها بتكرار التعاطي لكون الأحاسيس اصطناعيــة كشأن كل ما هو غير طبيعي .

* * * * *



عواقب الإفراط!

لندن ـ ر: كاد عقار الفياجرا الذى يعالج الضعف الجنسى عند الرجال يودى بحياة بريطاني أفرط فى تعاطى العقار حتى أصيب بنزيف حاد من الأنف، وانتهى به الامر إلى دخول المستشفى لمدة أسبوع.

وقالت طبيبة بمستشفى سان جورج فى لندن إن الرجل نقل إلى قسم الطوارئ بعد ست ساعات من النزيف المتواصل، وإن المحاولات لوقف النزيف فشلت لعدة ساعات، قبل أن ينجح الأطباء بعدها فى وقف النزيف، إلا أن الرجل بقى فى المستشفى ٦ أيام تحت الرعاية الطبية.

(الأهرام فى 2002/8/2)

الفصل السادس

الداء والدواء

إن تشخيص الداء يفضي إلى إمكانية تحديد الـــدواء والعلاج المناسب والقضية فى مجملها تتعلق بالرجل بنســبة قد تصل إلى مائة فى المائة . رغم أن المـــرأة قــد تكـــون مسئولة بنسب أخرى عن القصور فــــى عمليـــة التوافـــق والانسجام الجنسي بين الزوج وزوجته . والمرأة قد تدفـــع الزوج دفعاً لتشعره بعجزه أو قصوره رغم أنه طبيعي تماماً . ولكن ذلك يكون من زوجات لهن من السجايا والصفـــات ما يدعو الأزواج إلى الرضـــوخ والاقتنـــاع بمـــا يشـــعن الزوجات عنهم . فمثلا الزوجة المتسلطة والمسيطرة تريـــد دائما وضع الرجل فـــى موقـــف الدفـــاع لا الهجـــوم أو التـــعـــادل والنديـــــة معها . فهو بالرغم أنه طبيعي وغير مقصر تجعله وتشعره بأنه أقل من أقرانه من الأزواج . ثـــم تملى الزوجة المتسلطة علـــــى أســـماع زوجـــها موشـــحا واسطوانة مشروخة ووهمية عن زوج جارتـــــها فلانـــة أو صاحبتها علانة بكونه رجلا ملء ثيابه . فــــهو – كمـــــا تدعى الزوجة – يجامع زوجته يوميا وأحيانا مرتين كل يوم دون إرهاق أو نَصَب . وأن ذلك الزوج الطلوق لا يتعاطى شيئا مما يتعاطاه الآخرون . وأنه يعرف ويفهـــم كيـــف يشبع زوجته – صاحبتها أو جارتها – حتى الثمالة وأنـــــها

هانئة معه وبه .وأنه فخر الرجال .. الـــخ . وعليـــه فـــإن زوجها مطالب بتقديم أوراق اعتماده لها بأنه لا يقل فحولـــة عن زوج صاحبتها ولا يقل قدراً عن إشباع زوجتــــه وإلا فالطلاق سيف مسلط على الرقاب وإلا فالبحث عن عـــلاج لدى الطبيب أو العطار مطروح على الساحة . وإلا فعليــــه أن يعوضها عن كبتها وحرمانها بشـــراء ملابـــس جديـــدة باستمرار لها وعليه أن يروّح عنها بشتى الوسائل كالســـفر إلى الشاطئ والذهـــاب إلـــى المصيـــف والخـــروج إلـــى المنتزهات والسينما وغيرها من دور اللهو والتســـلية وألا يعصى لها أمرا وأن يسلم زمام أمره لها فيعطيــــها راتبـــه ودخله تتصرف كيف تشاء وإلا فلا حلّ أمامها إذا ما رفض كل ذلك إلا فضحه على الملأ والتشهير بكونـــه عاجـــزا وعنينا . ! وحينئذ يسقط فى يد الرجل الذى يظن أنه فعـــلا ضعيفا أو عاجزا فيسلم لها القياد كلـــه . أمـــا إن كـــان ذا شخصية وثقة فى نفسه فيعلن تمرده عليها ويتهمـــها بأنـــها امرأة شاذة ليست كقريناتها من النساء وأنها وأنها .. وإذا لم تكف عن اتهاماتها الباطلة نحوه فإنه سيطلقها فعـــلا غـــير مأسوف عليها . والنتيجة إما ترتدع المـــرأة وتكـــف عـــن ألاعيبها . وتثوب إلى رشدها فتكون زوجة صالحة وفيّـــة

غير متبطرة وأما تستمر فى عنادها ويقع الانفصال الـــذى لابد منه عاجلا أو آجلا . وفى المقابل قد نرى رجلا بمثـل شخصية تلك المرأة المتسلطة فيتهم زوجته بالبرود وبعـــدم التجاوب وبأنه قد أخطأ حين ارتبط بها وظن أنها طبيعيـــة مثل باقي النساء وأنها ستدفعه حتماً للارتباط بزوجة ثانيـــة أو يطلقها حتى لا ينحرف وحتى لا يحرم نفســـه المتعــة .. و .. وقد تكون الزوجة فى هذه الحالة طبيعية فعلاً ولكن زوجها يتعلل بما ليس فيها حتى يبرر خلاصـــه منـــها أو حتى يشعرها بالدونية وبالشذوذ وأنها ليست كباقي النســـاء وأنها يجب أن تطيعه طاعة عمياء فى مقابل سكوته وعـــدم فضحها أو طلاقها أو الزواج عليها وأنه بناء علـــى ذلـك يطلب منها معاونته فى مصروفـــات المـــنزل وأن تعطيـــه مصاغها لبيعه لأن دخله لا يكفيه وأنه قد لجأ إلى التدخيـــن أو إدمان الكحوليات أو المخدرات لينسى ما هو فيـــه مـــن الكمد والهمّ والحَزَن وأنها يجب أن تعيش له جارية وخادمة وليس عليها أن تراجعه فى شيءٍ أو تعارضه فى قـــول أو عمل وهكذا تتكرر المشاهد والمواقف وكلها علـــى نفـس النمط تقريبا . توهُّمات واتهامات بغـــرض قـــهر الطـــرف الآخر وكأن بيت الزوجية ساحة معارك يجب أن يكون أحد

الطرفين منتصراً والآخر مهزوما . ويتناسى الناس أن بيت الزوجية هو بيت السكن (أى السكينة) والمودة والرحمة والكل فيه متعاون ليترعرع النشء فى جو من المحبة والمودة والترابط والتقدير ويصبح النبت الجديد امتداداً لصفات الأبوين من الإيمان والصدق والإخلاص وحُسْن الخُلق ولا مجال فيه للتراشق بالاتهامات أو الادعاءات فيشب الأبناء فى جوٍ مشحون بالخلافات والعقوق والشِقاق ويصبح المجتمع الأسرى نواة لفساد المجتمع البشرى والدولة .

وقوامة الرجل لم تأت اعتباطاً وإنما بشروط وعلى أسس حتى تكون قوامة شرعية كما أرادها الله لاستقرار الأسرة :

* الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعضٍ وبما انفقوا من أموالهم(121).

فالتفضل والقوامة مرجعه تفضيل الله للرجل على المرأة بما حباه من قدرات جسمانية وبدنية وعقلية ونفسية تعينه على السير بسفينة الزوجية إلى بر الأمان وبمواجهة

المشاكل والتحديات بما منحه الله للرجال من قوة بدنية تتيح لهم حماية الأسرة والدفاع عنها وعقلانية اتخاذ القرارات المختلفة التى تصلح من شأن الأسرة دون تسلط أو تعنُّت وعدم الانجراف بالعاطفة حيث يكون التعقُّل والرويّة والحكمة من الأشياء المطلوبة . أما الاندفاع أو الخنوع أو عاطفية اتخاذ القرارات – وهى من صفات المرأة – فإن مآل كل ذلك قد يكون وبالا على بيت الزوجية . ومن هنا كانت شهادة الرجل الشرعية يقابلها شهادة امرأتين :

* واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء (وعِلّة ذلك) أن تضلّ إحداهما (أى تنسى ويلتبس عليها الأمر) فتذكِّر إحداهما الأخرى[122].

وهذا الأمر لا ينتقص من مكانة المرأة كما بينت الآيات حتى لا يلتبس الأمر على المرأة أو تتعامل بعاطفية فتحيد عن الحق وتصبح شهادتها محل مؤاخذة أو تجريح فالمرأة الأخرى ستذكرها حينئذ وتعينها على عدم كتمان الشهادة وعدم الحيدة بها عن صدقيتها . كما أن الله

تعالى بين أن من أسباب قوامة الرجال أنـــهم يتــــــولون النفقة على الأسرة من أموالهم . (وهو ما يسبب للرجـــل تحرجه فى حالة مساعدة زوجته له بما لها أو كونه عـاطلا لا يتكسب نفقة عياله) وإنما الأمر بكونه مسئولاً عن أسرته فى النفقات وفى الحماية وفى الإعاشة والتربيـــة والتوجيــه وكما سبق وبينا أن الرسول (ﷺ) حث الشباب على الزواج حال قدرتهم على تكاليف الحياة الزوجية من نفقـــة ومـــهر وإعاشة (الباءة) . والقوامة والرجولة لا تعنـــى التســلط والتحكم والدكتاتوريـــة وإنما هى توزيع لـــلأدوار داخـــل صرح الأسرة حيث أن للرجال أعمال عليهم بالقيـــام بـــها وعلى النساء أيضا مهام أخرى لا يستطيع الرجل القيام بـها مثل الحمل والإنجاب والإرضاع والقيام بالمـــهام المنزليـــة التى تحتاج الكثير من الصبر والرحمة والشـــفقة والحنـــان وهو مالايتوفر لدى الكثير من الرجـــال بحكـــم ســـنن الله وحكمته فى الخلق . ***ولذا فإن دور الزوجين داخل الأسرة يجب ألا يعتريه التنافس أو التنافر وإنما هو نوع مـــن التكافل والتكامل لا يجب غمط وانكار حق وجهد أحـــد***

الزوجين فيه . فكلاهما يكمل الآخر ويجبر عجزه وقلة حيلته ومقدرته .

والقوامة والرجولة لا تعنى الفحولة . وإنما الحياة الزوجية تقوم على دعائم كثيرة منها الرحمة والمودة والتفاهم والتراضى والتشاور والتعاون . ***وتعتبر الممارسة الجنسية فى الزواج من الأدوار الثانوية والتى إذا ما توقفت لسبب أو لآخر (مرض.عجز .شيخوخة) لا تتوقف معها الحياة الزوجية . وإلا فإنه حينما يصبح الزوجان أحدهما عاجزاً عن الممارسة لسبب أو لآخر لا يعنى ذلك وجوب فصم عرى الزوجية . وإنما الحياة الزوجية تعنى أشياء كثيرة أدناها الممارسة الجنسية .*** بخلاف ما يحدث فى عالم الطيور أو الحيوان حيث ينتهي دور الذكر وحياته أحيانا بمجرد الإخصاب والتلقيح (مثلما يحدث لذكور النحل والعنكبوت والعقارب وغيرها) ولأن المودّة والتراحم والتعاون أعمدة وأسس هامة فى الحياة الزوجية فإن حياة الأسرة تستمر بها وتصمد أمام شتى عوامل التفكك والانفصال .

وفى مقابل قوامة الرجل وسعيه للإنفاق على الأسرة وحمايتها هناك دور بالغ الأهمية يقع على عـــاتق المـــرأة (انظر وصية الأعرابية لابنتها فى الفصل الثالث) لا يمكـن إغفاله أو إهماله وهو دور التدبير وإدارة شـــئون المـــنزل المالية حسب الدخل مهما قلّ أو كثر لتوفير النفقات التـــى لا لزوم لها أو يمكن القيام بأداء أعمال تخفض المصروفـــات الأسرية ويحصل بها الادخار الـــذى يفيـــد فـــى حـــالات الطوارئ المختلفة :

* كانت فاطمة بنت محمد (ﷺ) تطحن بالرحى وتحمـــل الماء وتجلبه للمنزل .

* تقول أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير بن العوام:

كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله . وكنت أسوس له فرسه . وأعلفه وأحتشى له (تأتى له بالحشائش) وأخـــرز الدلو . وأسقى الماء . وأنقل النوى على رأسى مـــن أرض له على ثلثى فرسخ (حوالى خمسة أميال).

ودور المرأة فى الحمل والـــولادة وتربيـــة النـــشء وإضفاء مشاعر الأمومة على الأبناء والمودة للـــزوج كـــل

ذلك لا يقل بحال من الأحوال عن دور الرجل فى السعي والكسب . وكما يقال أن الزوجين يجب أن يكونا سِتْراً وغِطاءً فإن الله وصف علاقتهما بأبلغ ما يكون :

* *هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن*[123].

أى أن هنا تمازج وتآلف وتواد وتراحم يصل إلى حد أن يكون أحدهما كالثوب الساتر لجسد الآخر . يخفي عيوبه ويضفى عليه حُسْناً ورونقاً وبهاءً . فلا يجوز للرجل أن يفشى عيوب زوجته أو مما يدور بينهما أثناء العلاقة الجنسية وكذلك المرأة لا يجوز لها شرعاً أن تفشى أسرار زوجها أو عيوبه مهما كانت :

* قال رسول الله (ﷺ):

إن من أشرّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة (أثناء الجماع) وتفضي إليه ثم ينشر سرها[124].

وهذا التحذير ليس للرجل فقط وإنما أيضا للمرأة التى تفشى أسرار العلاقات الجنسية مع زوجها لصويحباتها

وجيرانها تتباهى عليهن أو تثير غيرتهن وحسرتهن من كونها تتمتع مع زوجها وتمتعه كما لايفعل غيرها . والرسول الكريم أيضا نهى المرأة عن نقل أسرار صويحباتها :

* لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها[125] .

فتثير غرائز زوجها نحو صاحبتها فقد يدفعه ذلك إلى مغازلتها أو مراودتها عن نفسها إذا استحسن ما قالته زوجته عنها وقد نهى النبي (ﷺ) المجاهرين بالأعمال فقال :

* *كل أمتي معافى إلا المجاهرين* . وإن من المجاهرين أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف سِتْر الله[126] .

لأن فى ذلك الخطورة الشديدة من تعوّد الرجل أو المرأة على المجاهرة بالفواحش والأسرار مما يشيع

الفاحشة بين الناس وكأنما يدعونهم إلى تجريب وتقليد ما فعلـــوه :

* ***إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فـــى الذيـــن آمنوا لهم عـــذاب أليم فى الدنيا والآخرة . والله يعلم وأنتم لا تعلمون***[127].

وينهى النبى الكريم (ﷺ) عن سوء معاملة الزوج لزوجتـه وأوجب على الرجل إذا خطب امرأة أن يظهرها على عيبه إن كان به عيب مستور: «إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب»..

* إن المرأة خُلقت من ضلعٍ لن تستقيم لك على طريقـــة . فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عِـوَج . وإن ذهبـت تقيمها كسرتها . وكسرها طلاقها[128].

* استوصوا بالنساء خيراً . فإن المرأة خلقت من ضلـع . وإن أعوج مافى الضلع أعلاه . فإن ذهبت تقيمـه كسـرته. وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء[129].

* يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد (أى يؤذيها) فلعلـه يضاجعها (أو يجامعها) من آخر يومه[130].

وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها فى المنظر الذى يروقها، فقال عليه السلام مما قال فى هذا المعنى وهو كثير: «اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا ، فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم».

**** لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها فى آخر اليوم[131].***

أى أن الرجل يتعمد إيذاء زوجته كما يــؤذى العبــد بالضرب المبرح ثم في آخر اليوم عندما يجمعهما فـــراش واحد يضاجعها وكأنه لم يحدث بينهما ما يوجب القطيعـة أو النفور وإذا ما عصته غصبها وطالب بحقه دون أن يقدم ما عليه من واجبات . وقد تحتاج بعض النساء إلى التــأنيب أو المراجعة أو اللوم ولكن ذلك يكون بالحسنى لا بـــالإيذاء . ولأن كل إنسان غير مبرأ من العيــوب فعلــى الــزوج أن يتحمل زوجته فعليها الكثير من الأعباء والضغوط التى قــد ينسيها واجبا أو طلبا لزوجها :

**** لا يفرك (يبغض) مؤمن مؤمنـة إن كره منـها خلقاً رضى منها بآخر (أو قال غيره)[132].***

بل وعليه أن يلتمس لها الأعذار ويتحمـــل ضيقـــها وتوترها خصوصا إذا كانت فى فترة الحيض حيث يكـــون تأثير الهرمونات عليها متسبباً فى ذلك التوتر . بل عليــه أن يلاطفها ليخفف عنها ***فليس الزواج عقداً أو حق انتفـــاع***

بجسدها ثم يهينها أو يسيء معاملتها دون سبب أو يتعمد ايذائها ظاناً أنه بذلك يضمن رضوخها لرغباته وخوفها منه فلا تعصيه أبدا .

ونلاحظ أن مثل هذه الأفكار وغيرها مما يسيء إلى الزوج والزوجة على السواء هى محور الحوارات الدائرة داخل دواوين الحكومة والنوادي الاجتماعية والرياضية حيث تتناقل الألسنة فضائح وسير وأسرار الأسر على سبيل التسلية والتشهير . وفى أغلب تلك الحوارات يكون اختلاق القصص وحبك الأساطير هو المسيطر والسائد حيث نرى اختلاق وترويج الشائعات عن نشاطات وهمية فى مجال العلاقات الأسرية الحميمة (الجنسية) وادعاءات البطولة والفحولة والرجولة بمفهوم أولئك هو ما يدور حوله الحوار الذى قد يكون هامسا أو بالتورية والكناية ثم يكون عاليا مسموع الصوت وفاحشاً لدرجة تعصف بكل مقاييس الحياء والفضيلة بين زملاء العمل أو أصحاب النادي وينتزع المتحذلقون أسرار الصامتون بطريقة أو بأخرى وتُتَداول أسرار البيوت وتُفشَى على الملأ وتشيع الفاحشة والابتذال حتى أنه قد تنشأ علاقات غير سوية بين

قرناء العمل أو رفقاء النادي فى محاولة للتجريب والتثبت من الادعاءات أو نفيها وتُنتهك الفضيلة والحرمات باسم الحرية وزمالة العمل والصداقة والتحضر ومسايرة المدنية والتقدم وكما يفعل الزوج مع رفقاء العمل من السيدات تفعل الزوجة مع أصدقائها فى العمل أو النادي . ويحذرنا الرسول الكريم (ﷺ) من ذلك فيقول :

* إن الله تعالى يغار . وغيرة الله تعالى أن يأتي المرء ماحرم الله عليه[133].

وكما يقال : إعمل ما شئت . كما تدين تُدان .

* المسلم أخو المسلم . لايخونه ولا يكذبه ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام . عِرْضه وماله ودمه[134].

وتتبع عورات المسلمين حرام لأنه يؤدى إلى المفاسد والشرور :

* ***لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة . ولا يفضي الرجل إلى الرجل فى ثوب***

واحد (لا يضجعوا متجردين تحت ثوب أو غطاء واحد) ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد [135].

وهذا ما نراه في النوادي حيث حمامات البخار المشتركة وفي عيادات (أو محال) علاج السمنة والتجميل والتدليك وغيرها وتفصيل الأزياء .

* لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها[136] .

فإن في ذلك مفسدة لزوجها الذي قد يعجب بالمرأة الغريبة فيحاول استمالتها والإيقاع بها .

وفي سورة النور الكثير من العظات لدرء المفاسد والشبهات والشرور حيث الاستئذان عند دخول البيوت وعدم انتهاك حرماتها - في غيبة الزوج - وعدم التبرج للغرباء وإثارة الغرائز والحشمة وأيضا عدم تحسس العورات أو كشفها وغض البصر :

* الخبيثات (من الأقوال) للخبيثين (من الناس) والخبيثون للخبيثات . والطيبات (من الأقوال) للطيبين (من الناس) والطيبون للطيبات . أولئك مبرءون مما يقولون .

لهم مغفرة ورزق كريم * ***يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم . والله بما تعملون عليم***[137].

**** قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . ذلك أزكى لهم . إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات*** يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (الوجه والكفين) . وليضربن بخمرهن على جيوبهن (فتحة الصدر) ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن (أزواجهن) أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن (المؤمنات سواء الأقارب أو العاملات) أو ما ملكت أيمانهن (الجواري) أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال (بسبب العِنّة أو البلاهة أو الخصاء) أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (غير المراهقين والراشدين)-**ولا يضربن بأرجلهن ليُعلَم ما**

يخفين من زينتهن . وتوبـــوا إلــى الله جميعــا أيـــها المؤمنون لعلكم تفلحون[138].

• يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذيــن لم يبلغوا الحُلُم منكم ثلاث مرات . من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومـــن بعــد صـــلاة العشاء. **ثلاث عوراتٍ لكم** (فترات التخفيف من الثيــاب والتأهب للنوم) ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهـــن . طوّافون عليكم بعضكم على بعض . كذلك يبين الله لكــم الآيات . والله عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُـم (البلوغ) فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم . كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم[139] .

* لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانـــهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكــت أيمانهن واتقين اللهإن اللهكانعلى كل شيءٍ شهيداً[140].

* يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونســـاء المؤمنيــن يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك أدنى أن يُعْرَفن فـــلا يُؤْذَين . وكان الله غفوراً رحيماً[141].

* قال رسول الله (ﷺ) لأسماء بنت أبى بكر :

يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض فلا يصلح أن يُرَى منها إلا هذا (وأشار إلى وجهه وكفيه)[142].

وكل هذه الآيات والأحاديث النبوية إنما تحض على الفضيلة وعدم تحسس العورات والاحتشام درءاً لإثارة الغرائز والشهوات . وذلك لأن المرأة هي المسئولة الأولى عن الإثارة لا الرجل حتى أن الله تعالى بيّن أنه فى حالة كبيرة (الزنا) فإن المرأة تكون هي البادئة وهى التى تثير الرجل وتدعوه للخطيئة . والمرأة – أى امرأة – يمكنها أن تتعفف وتصد الطامعين فيها من الرجال إذا أرادت ورغبت وإذا ما اتبعت نصائح الله تعالى وتوجيهات رسوله :

* الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله . إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين [143].

وتقديم المرأة الزانية على الرجل الزاني مقصود لأنها كما أسلفنا هي المسئولة الأولى والأخيرة عن جريمة الزنا وبرفضها لا تتم المواقعة وبرغبتها تثير الرجل وتزين

له الشهوات وتدعوه حتى يستجيب لها . وفى جميع جرائم الاغتصاب تكون المرأة مسئولة بدرجة كبيرة عن المواقعة إما بسبب تبرجها وإثارتها للرجال وإما بسبب استسلامها وعدم المقاومة والاستغاثة خوفا من الفضيحة وبإمكانها أن تفشل عملية الاغتصاب بدرجة أو بأخرى اللهم إلا تحت تأثير مخدر يذهب بيقظتها ووعيها أو بسبب تكالب عدة رجال عليها وإضعاف قوتها وشل حركتها.

ويجرنا هذا الحديث إلى مفسدة أخرى لا تقل بشاعة عن سابقتها بل وهى نتيجة طبيعية للانحلال الخلقي الناجم عن التبرج وتحسس العورات وكشفها . ألا وهى عملية تبادل الزوجات حيث تشيع هذه الفاحشة في المستويات الاجتماعية الراقية كما يقولون حيث تنعدم القيم وتتلاشى الفضيلة نظراً لوفرة المال الذى يذهب بالألباب وهى فتنة ما بعدها فتنة تتسبب فى الموبقات إلا ما رحم الله من عباده الملتزمين ويقول الرسول الكريم(ﷺ) :

* إن لكل أمة فتنة . وفتنة أمتي فى المال [144].

* حُجِبَت النار بالشهوات وحُجِبَت الجنة بالمكاره[145] .

ويقول جل شأنه:

* ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فـــى الأرض . ولكــن ينزل بقَدَرٍ ما يشاء . إنه بعباده خبير بصير[146].

وكثرة الثروات والأموال يدفع المــرء إلــى البــذخ والسفاهة فى الإنفاق والانحراف والبغي وارتكاب المعاصي لمن ظن أنه بماله فوق الشرع والقيم والفضائل والأخلاق . فنرى ظاهرة تبادل الزوجات فـــى تلــك الأوســاط تبــدأ بالمراقصة فى النوادي والمنتديات والحفلات الخاصة التـــى سرعان ما تنقلب إلى حفلات دعارة حيث يتبـــادل الأزواج زوجاتهم بزوجات الآخرين يمارسون معهم الخطيئـــة دون شعور بالذنب ويتم تناول الكحوليات والمخدرات على أنغــام الموسيقى الصاخبة والرقصات المجنونة ويتعامل كل منـــهم مع زوجة صاحبه كما يتعامل مع السيجارة أو الكأس حيــث لا يعترض الزوج الديوث على إعارة زوجتـــه لصاحبــه ويأخذ منه زوجته ليمارس كل فريق منهم الرذيلة دون حياء أو غيرة على أهله وزوجته ويعتبرون ذلك مـــن التحــرر وحرية الفكر لا جموده . وقد يصل الأمر بالفتيان والفتيــات أيضا بممارسة الدعارة دون خوف أو شعور بالذنب لأنه إذا

كان الأبوان منحرفين فلا لوم ولا تثريب على الأبناء وقـــد يصل الأمر إلى ما هو أخطر فنجد ممارسة اللـــواط بيـن الذكور والسحاق بين الإناث كتطور جديد لمفهوم الحريـــة الداعرة والأفكار المنحرفة والهوس الجنســي الـذى فـاق الحيوانية والبهيمية التى ما سمعنا ولا شــاهدنا فيـها تلـك الممارسات الشاذة إطلاقا. وتتم كل تلك الممارسات طبقــا لطقوس شيطانية تفرزها تلك الطبقات المنحرفــة والعابثـة بكل القيم والأعراف والديانات . ولا مانع مـــن اسـتعمال المنشطات الجنسية وتعاطى المخدرات مع استخدام وســائل مضمونة لمنع الحمل باستخدام العازل الطبي أو حبوب منع الحمل أو الحقن أو غيرها من الوســائل التــى أصبحـت معروفة لدى الصغار أكثر من الكبــار . والله جــل شــأنه يحذرنا من كل تلك الرذائل والفواحش لأن ممارستها تعنــى نهاية الأمة – أى أمة – وتعنى الحيــدة والانحــراف عــن الشرع القويم فتستحق تلك الأمة – تبعا لذلــــك – العــذاب والتنكيل :

**** وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيـها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا*** [147]:

ولا عجب من انتشار أوبئة وأمراض لم نكن نسمع بها ولا عنها من قبل . فالزهري والسيلان قد أصبحا من الأمراض التى عفا غليها الزمن ليحل محلها أمراض وأوبئة بكتريا الإيبولا القاتلة وفيروس الأيدز (نقص المناعة) وأمراض أخرى فى الطريق لا يعلمها إلا الله . وهذا هو الداء ولا شفاء منه مطلقا إلا بالعودة للممارسات الزوجية الطبيعية وترك المعاصي والفواحش التى تفتك بالفرد والمجتمع . ويمتدح الله الملتزمون :

* روى أن أناسا قالوا يا رسول الله " ذهب أهل الدثور (المال) بالأجور . يصلون كما نصلى . ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول (فائض) أموالهم . قال أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به : إن بكل تسبيحة صدقة . وكل تكبيرة صدقة . وكل تحميدة صدقة . وكل تهليلة صدقة . وأمر بالمعروف صدقة . ونهى عن المنكر صدقة . وفى بِضعِ أحدكم (الجماع) صدقة . قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ . قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ . فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر [148].

وبلغ من رعاية شعورها ومداراة خجلها الذى فطرت عليه أنه أوجب على الرجل أن يمتعها كما تمتعه لأنها لا تطلب لنفسها ما يطلبه الرجل

منها: «فإذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ثمّ إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها».

وينهى الله تعالى عن إكراه النساء على البغاء طمعا في ثروة أو مال أو مصلحة :

* ولا تُكرِهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصُّناً لتبتغوا عَرَض الحياة الدنيا . ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم (لهؤلاء الفتيات)[149].

وليس على النساء أن يتبرجن للغرباء حتى لا يكنّ في وضع اشتهاء وطمع منهم كما يحدث من النساء العاملات اللاتي يخرجن لأعمالهن ملطخات بكافة أنواع المكياج والبارفانات التى تثير الغرائز وتدعو كل عين نهمة لتفحصهن واشتهائهن أما نفس المرأة فإنها تلقى زوجها – حلالها – دون اهتمام بمظهرها وعلى عكس المطلوب منها شرعا . تتبسم وتضحك وتسامر الغرباء وهى متبرجة ومبتذلة أحيانا وإذا ما عادت إلى بيتها يرى منها زوجها العبوس والتقطيب والإهمال متعللة بالإرهاق من العمل والمواصلات والمسئوليات الملقاة على عاتقها . فلا يجد زوجها منها إلا النفور والتقصير فى أداء الواجبات الملقاة على عاتقها . وحيناً بعد حينٍ يجذ الزوج – أو هكذا يتوهم – فى امرأة أخرى مراده وأمنيته المنشودة فيعمد إلى إقامة

علاقة معها قد تكون حسنة بغرض الارتباط والزواج وقـــد يشوبها سوء النية من جانبه فهو لا يخفى سراً في رغبته أن تبقى العلاقة الجديدة مجرد تسلية وترويح عن النفس لأنـــه ببساطة لا يملك ما يعينه على تكوين أسرة جديـــدة وحيـــاة زوجية تعوضه عن إهمال زوجته الأولى . أو قد يكون لديه المال والإمكانيات ولكنه يخشى خوض التجربة مرة أخــرى بكافة عواقبها فلربما تتكرر مأساته مع الزوجة الجديدة بعــد فترة شهر العسل وتكون كسابقتها . وبعد فترة إذا ما أُسـقِط في يده وضاقت به السبل واشتد حنقه على زوجته فإما أنـــه يطلقها وإمّا يجنح إلى الارتباط بأخرى بطريقـــة ســرية (الزواج السري) أو في الخفاء عن زوجته أو يرتبط بـامرأة أخرى بزواج عرفي غير شرعي يتنصل منه ومن تبعاتــــه وقتما يريد أو – وهذا هو الأخطر – يجد نفسه مدفوعا إلـــى ممارسة الرذيلة مع إحدى البغايا أو مــــا يشــبههن دون أن يتحمل أية أعباء كما يتصور ويفكر . وتزداد أسر المجتمــع واحدة أصابها التفكك والانحلال ولا عاصم من كل هــذا إلا بأداء كلا الزوجين لواجباتهما نحو الآخر دون مَنٍّ أو تـــراخ أو إهمال مقصود أو غير مقصود وقد يكون التقصير مــــن الرجل الذي يهش ويبش بوجهه لزميلاته في العمل وإذا مــا

عاد إلى بيته قطّب وجهه وكشّر عن أنيابه ليفرض سطوته على أهل بيته وقد يتمادى فيضرب زوجته رغم أنه يداعب ويلاطف زميلته فى العمل والتى هى غريبة عنه ومحرمة عليه إلا بحق الله . وينهانا الرسول الكريم (ﷺ) عن ذلك :

*** لا تضرب الوجه ولا تقبِّح (أى لا تقل لها قبّحك الله).**

* ألا واستوصوا بالنساء خيراً . فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك . إلا أن يأتين بفاحشة مبينة.فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع (أى فى نفس المخدع والسرير) واضربوهن ضربا غير مبرح . فإن أطعنكم فلا تبتغوا عليهن سبيلا . ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا . فحقكم عليهن أنْ لا يوطئن فرشكم من تكرهون . ولا يأذنّ فى بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن(150).

**** سأل معاوية بن حيدة رسول الله (ﷺ) ماحق زوجة أحدنا عليه ؟ . قال : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت . ولا تضرب الوجه ولا تقبِّح . ولا***

تهجر إلا فى البيت (الهجر فى المضاجعة أما الكلام فلا هجر فيه)[151].

وفى ذات الوقت يبيّن لنا الرسول الكريم أنه :

* لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر زوجها وهى لا تستغني عنه .

* فكيف أنتِ له . فإنه جنتك أو نارك .

أى أن السعادة الزوجية واستقرار الأسرة أساسه الزوجة فى كثير من الأحيان . حيث أنها المسئولة عن نعيم الرجل ورضاه عليها أو ناره حيث تنغص عليه عيشه ووقاره.

* لا يحل لأمرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد فى بيت زوجها وهو كاره . ولا تخرج وهو كاره ولا تطيع فيه أحداً (غيره) ولا تعتزل فراشه .

* المرأة لا تؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها .

وكل هذه النصائح النبوية هي لاستقرار الأسرة المسلمة وثبات أركان البيت المسلم الذى يقوم على تكامل

الأدوار والمهام بين الزوجين . فلا خشونة الرجل تهب لـــه فضلاً من تقـــوى ولا نعومة المرأة تنقصـــــها حظـــاً مـــن إحسان . و ينبغي أن يكون كلا الزوجين قرة عين لصاحبـــه وأن يتعاونا على تربيــــة أولادهمـــا وصيانـــة حـــاضرهم ومستقبلهم . ويقول النبي (ﷺ) :

* **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي .**

* خير النساء الولود المواسية المواتية (المطاوعـــة) إذا اتقين الله .

ولنحذر من بعض النساء اللاتي يصدرن خبراتـــهن المشوشة لغيرهن مـــن النســـاء . فقـــد تكـــون خبراتـــهن ونصائحهن شديدة الضرر بغيرهن مثلما يحدث من نصـــح المرأة جارتها أوصاحبتها ألا تثق فى زوجها إطلاقـــا وألا تأمن له ولا تسلم له نفسها بل عليها أن تلاوعـــه وتعذبـــه وتشقيه حتى يكون عبداً لها . وأيضا من تلك النصائح مـــا تقوله النساء أن المرأة عليها أن تأخذ مال زوجها دون علمه وتدخر كل ذلك ليوم قد يلفظها فيه . أو أن تنصح المـــرأة صاحبتها بما يجب أن تفعله فى شتى الأمور وما تفعلـــه مع

زوجها . ونجد فى نهاية المطاف نصائح غبية وغير سويّة تفضي إلى خراب الكثير من البيوت . لأن كل صاحبة تجربة ما تظن أنها خبيرة بشئون الرجال - خصوصا المطلقات - وأنها لا تبخل فى نصح غيرها حتى لا يقعن فريسة المشاكل والانفصال وأمثال تلك المرأة نساء يعانين من مشاكل نفسية بسبب فشلهن فى حياتهن الزوجية فيردن بكل النساء المرور والمعاناة بمثل ما يعانين من الوحدة أو الانفصال أو هجر الرجال وتفكك البيوت وكما فى النساء من حاقدات على غيرهن فإن فى الرجال نفس الحاقدين الذين لا يرجون استقراراً ولا نجاحاً لغيرهم من الأسر . يصبّون جام غضبهم على كافة الأسر ويصدرون عقدهم للغير وينقمون على المتنعمين بالراحة والسكينة والمودة والرحمة ويعلنون أن النساء هن سبب المصائب والبلايا في الدنيا وقد ينحرف أحد هؤلاء الفاشلين فينتقم من أى امرأة تقف فى طريقه بطريقة أو بأخرى كأن يضطهد العاملات معه فى العمل أو يتعمد التنكيل بالفتيات فى درجات الامتحان إن كان أستاذاً فى الجامعة وقد يصل الأمر للاعتداء على حريتهن انتقاما ونقمة نتيجة فشله فى حياته الزوجية .

وأمثال تلك الحالات الشاذة نراه فى مجتمعاتنا وقد يكون سبب المشكلة إما امرأة متسلطة أو معقدة أو رجل متسلط أو معقد . وقد تكون هناك عوامل خارجية أخرى مؤثرة نذكر منها على سبيل المثال تفاوت المستوى الاجتماعي بين الزوجين وهو ما يسبب الشقاق والصدام بعد فترة من تغلب العاطفة على العقل . أو تفاوت المستوى العلمي والثقافي الذى يؤصل لطباع وتقاليد معينة تفرض صداما بين الزوجين ولو بعد حين . فنرى المرأة التى ضحت باستكمال تعليمها لتتم الزيجة وفاقها الزوج فى السلم العلمي والثقافي والوظيفي . وكلما تعرضت الأسرة لمشكلة من المشاكل نجد الزوج يعاير زوجته بجهلها وعدم ثقافتها وعدم ملاءمتها له خصوصا حينما يرقى لمنصب مرموق أو يحصل على درجات علمية أعلى ويتعامل مع قرناء المركز العلمي أو الوظيفي بالندية وشيئا فشيئا يتصور أن زوجته التى شاركته مسيرة حياته أصبحت لا تصلح للمهام والمستوى الذى وصل إليه مؤخراً فيختلق الزوج المشاكل مع زوجته ويشعرها بضآلتها وتفاهتها حتى يدفعها دفعا لطلب الطلاق أو الموافقة على استجلاب زوجة أخرى تليق بمركز الزوج الذى وصل إليه مؤخراً ثم بعد مضي الوقت

يتخلى الزوج تماما عن زوجته الأولى مكتفيا بالجديدة التي يظن أنها كفء وشريك يوثق به ويصلح للمهام والظروف التي استجدت . وتتفكك عرى الزوجية الأولى بما لها من آثار خطيرة على الأبناء والزوجة التي لا ذنب لها فيما حدث . ولو أن الزوج قد اتشح بالقناعة والرضا وحمد الله على أن وفّقه لزوجته الأولى التي شاركته مسيرته وساندته وأعانته حتى بلغ المركز الجديد والمنصب المرموق لما كان الانفصال أو الشقاق أو التنكّر لمن وقفت بجانبه تشد أزره وتعينه في شتى الظروف التي مر بها بيت الزوجية على مر الأيام . وهذا الجحود المفاجئ والنكران للجمائل والتنصل من الماضي هو نوع من الأنانية الحمقاء من قِبَل الرجل الانتهازي و الوصولي الذي لا يبالي بما خلفه وراءه من عقدٍ ومآسٍ ومشاكل لأهل بيته إذا ما تمّ الانفصال فيخرج إلى المجتمع أبناء معقدين ناقمين أو مقلدين وانتهازيين وينخر في جسد المجتمع السوس والدمار الذي يخلفه أمثال تلك النفوس والسجايا والتنكرات .

وفي الأسر المعدمة أو ذات الوضع الاجتماعي المنخفض توجد أمثال تلك المشاكل والحالات . فالتطلعات

إلى الثراء أو المركز الأعلى فى الوظيفة أو المهنة قد يكون على حساب أفراد الأسرة التى تتجرع الكأس إما بسبب أب وصولي وانتهازي يرغب فى أن يصبح على وجه الدنيا لا فى قاعها وقد يلجأ لتحقيق ذلك إلى امتهان نفسه وكرامته أو اللجوء إلى النفاق والرياء حتى إذا ما بلغ شأوه وحقق غرضه وطموحه تنكر لذويه وانفصل عنهم . وهو ما نراه جليا حين يخرج الزوج فى إعارة لإحدى الدول العربية أو يسافر بمفرده إلى إحدى الدول الأوروبية . وإما أن تكون الأم هي صاحبة التطلعات والطموحات فتجرى وراء أهوائها وشهواتها فتمتهن من المهن ما لا يليق أو تتبع من يغريها بالزواج إن هي طلقت من زوجها ثم تجد نفسها بعد ذلك فى أحد الأعمال المشبوهة أو غيرها لا تستطيع – تنكرا وجحودا – الرجوع عن طريق الغواية الذى يدر عليها دخلا كبيراً ولا تتمكن فى ذات الوقت أن تصحح مسيرتها قبل فوات الأوان فتشقى بقية عمرها بعد أن أهدرت آدميتها وتنكرت لأبنائها لما ظنت وتوهمت أن المال هو مفتاح السعادة وأن منتهى الطموح أن تلبس الجديد وتنفق بسخاء من علياء . ***والتخلى عن القناعة والرضا والجرى وراء شهوات الدنيا التى لا تنتهي أحد أهم***

أسباب تلك الزلات إن لم تكن سببها الوحيد . وحكمة الله فى تفاوت الأرزاق والمستويات الاجتماعية لا تخفى على أحد . فهي ابتلاء وامتحان من الخالق أيشكر الإنسان أم يكفر ؟ . أيظل متمسكا بأهداب الفضيلة والدين أم ينحرف فى تيارات الشيطان وما يزينه له ؟

* والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . فما الذين فُضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء . أفبنعمة الله يجحدون[152]

* أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيٰوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً (مسخرون للآخرين) . ورحمة ربك خير مما يجمعون[153].

والله جل شأنه قادر أن يجعل الناس جميعهم أغنياء ولكن الفساد سيشرى فى الأرض والبغي لن يتوقف والاعتداء والصدام لن يهدأ .

ولكن من حكمته جل علاه أن جعل الناس متفاوتون فى الرزق والدخل والمعيشة والصحة والمرض والنجاح

والفشل والمعرفة والجهل وكل ذلك من امتحانات وابتلاءات الدنيا ليميز الخبيث من الطيب وليعلم من يتبع هداه ودينه ويشكر ويحمد ومن يعرض عن نعم الله وآلائه وفضله ويسير فى طريق الشيطان:

* ***من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون*** * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار . وحبط ما صنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون [154].

وقارون أغنى أغنياء الدنيا ماذا كان مصيره رغم غناه:

* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين[155].

* وفرعون بجبروته وقوته ماذا كان منتهاه :

* فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا[156].

وحتى أبى لهب عم النبى (ﷺ) حين كفر وأنكر نبوة ورسالة ابن أخيه وظن أن ماله سيـنفعه ويعطيه القوة والمنعة ماذا أصبح مصيره :

* تبّت يدا أبى لهبٍ وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب
* سيصلى ناراً ذات لهب [157].

والمال والجاه والسلطان والقوة والعلم وكل متاع الدنيا أبداً ما يغنى الإنسان عن عقاب الله له إذا لم يلتزم بشرعه وتعاليمه فلا يطغى ولا يتكبر ولا يتبطر على نعم الله فيجحدها :

* إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد.ولا يبغى أحدٌ على أحد[158] .

فمتاع الدنيا امتحان وابتلاء وزائل غير دائم . ونعم الله علينا لا تُحصَى ولا تُعَدّ . والله جل شأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدره (يقلله) . وكما ذلك فى الرزق فهو فى كافة الأشياء . فقد يعطى الله أحداً قوة وصحة وملكات ومواهب تفوق الآخرين . وقد يعطى غيره ضعفا ومرضا

وبلاهة وتفاهة قد تغــرى الآخريــن بالســخرية منـــهم أو الاعتداء عليهم .

ومن نعم الله تفاوت قدرات الرجال - وكذا النســاء - فى الحالة الجسمانية والمزاجية ودرجة النشــاط والحيويـــة والخصوبة . فهناك من الرجال مالا تكفيه امرأة واحــدة ولا تشبعه ولذا جاء التعدد فى الزوجات لمثل هـــذه الحـــالات متنفَساً فى حلالٍ بدلاً أن يلجأ ذلـــك الرجــل إلـــى اتخـــاذ الخليلات والأخدان والبغايا . ومن شــــروط التعـــدد كمـــا وضعها الله العدل فى النفقات وغيرها . ومـــن الرجـــال - والنساء على السواء - من هو عقيم لا يســـتطيع الإنجـــاب مهما لجأ إلى التطبيب لأن الله أراد له ذلك امتحاناً وابتلاءً:

* ولله ملك السماوات والأرض . يهب لمـــن يشـــاء إناثـــاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجـــهم ذكرانـــاً وإناثـــا . ويجعل من يشاء عقيما . إنه عليم قدير [159].

فهذا يستطيع الإنجاب وذاك عقيمـــا . وهذا ينجـــب الإناث فقط وذاك الذكور فقــط وثـــالث ينجــب الإنـــاث والذكور . ورابع ينجب التوائم . إنه ملكوت الله وحكمتـــه . ***والعلم الحديث بين لنا أن الرجل وحده هـــو المســئول***

عن *نوع الجنين لا المرأة* ولكنه الجهل المتفشي في المجتمعات الذى يدفع الرجل لطلاق زوجته أو الزواج عليها لأنها لا تنجب له إلا الإناث . والعلم بيّن لنا أن كروموسومات الرجل ويرمز إليها بالرمز (س ص) . وكروموسومات المرأة ويرمز إليها بالرمز (س س) فإن الجنين الناشئ يجمع بين نصف كرموسومات الأب ونصف كروموسومات الأم فيصبح الجنين حاملا لكروموسومات إما (س س) فيصبح المولود أنثى . وإما (س ص) فيصبح المولود ذكراً . وعليه فالرجل لا المرأة هو المسئول عن تحديد نوع الجنين . وقد يلجأ الرجل أو المرأة إلى الدجالين والمشعوذين لعمل الأحجبة والتمائم والأعمال التى تيسر انجاب الذكور (أو العكس) وأيضا قد يلجأ إلى الأطباء . ولكن كما بيّنا فإن مشيئة الله تعالى (يهب لمن يشاء) هي الكلمة الأخيرة فى إنجاب الذكور والإناث أو التوائم .

وفى المقابل نجد أن الرجل العقيم (أو المرأة العقيمة يلجأ إلى التداوي ليكون خصيبا . ولكن إرادة الله فوق كل شئ وقد يلجأ الزوج - أو الزوجة - إلى حل يسره العلم

الحديث وقد يؤتى ثماره ألا وهو التخصيب المجـــهري أو التلقيح الصناعي (أطفال الأنابيب) . ونشير هنا إلى أمـــر بالغ الأهمية والخطورة يجب أن يصـــاحب تلـــك الطـــرق للإخصاب ألا وهو أمانة ودقة استخدام بويضـــة الزوجـــة والحيوانات المنوية للزوج نفسه فى إتمام تلـــك العمليـــات والمحاولات . لماذا ؟

لأن تلك العمليات تتم بعد أخـــذ بويضـــة الزوجـــة والسائل المنوي للزوج ويحفظ فى حضّانة لبعض الوقـــت حتى يتم التخصيب المجهري أو فى الأنـــابيب المعمليـــة . وهنا مكمن الخطر. والذي يدفعنا تحذير حيث إمكانية خلـــط العينات المأخوذة من الزوجين قائمة عـــن طريـــق الخطـــأ والسهو أو عن طريق التعمد . ففي الحالة الأولى يســـتلزم الأمر الدقة وحفظ العينات (البويضة والســـائل المنـــوي) للزوجين بطريقة دقيقة لا تحتمل اللبس أو الخطأ مهما كـــان الأمر . والأمانة العلمية تقتضى ذلك حتى يكـــون الجنيـــن المتولد من نفس الأبوين وفى الحالة الثانية (تعمد الخلـــط) يكون الأمر مقروناً بسوء نيّة القائمين على العمـــل لســـبب أولآخر . كأن يريد القائمين على العمل وأصحاب المصحـــة

فى إثبات كفاءة المستشفى والأطباء فى إجراء مثـــل تلــك العمليات المكلفة (آلاف الجنيهات) فيجلب ذلك لهم الشهرة والمزيد من المترددين والساعين للإنجاب . والحصول على الذرية التى طال الشوق إليها . والعملية كمـــا نـــرى فيـــها الوازع المادي والرغبة فى جنى الأربـــاح الطائلـــة علـــى حساب الضمائر التى ماتت طمعاً فـــــى عـــرض الدنيـــا . والنتيجة الحتمية هى ميلاد أبناء قد يمتّون بصلة إلـــى الأب وحده أو الأم وحدها وقد لا يمتون لكليهما بأية صلة إطلاقـاً حيث يعمد أطباء المستشفى إلى استخدام بويضـــــة لامـــرأة أخرى غير الزوجة أو سائل منوي لرجل آخر غير الـزوج وفى هذه الحالة يكون المولود ابن زنا أو بويضـــة وســـائل منوي ينتسبان لامرأة ورجل آخرين وفى هذه الحالة يكـــون المولود غريبا عنهما ولا يمت بأيـــــة صلـــة ولا يجـــب أن ينتسب لهما ويلقب باسمهما . والزنا الواقع من جراء تلـــك العمليات المشكوك فيها والمشبوهة النتائج يكون أشد خطـراً على المجتمع من التبني - المفترض - لأنه فى حالة التبنـــى (المنهى عنه و المحرَّم) يعلم الزوجان يقينا أن الابـن (أو الابنة) المتبنى لا يمت لهمـــــا بصلة حقيقيـــة أمـــا فـــى حـــالة تلك العمليات (التلقيح الصنـــاعي بأنواعـــه) فـــإن

الزوجين لا يعلمان يقينا بما حدث فى الخفـــاء . وتطالعنـــا الصحف هذه الأيام بجريمة من تلك الجرائم حيث أجريـــت عملية تلقيح صنـــاعي (أطفـــال أنـــابيب) فـــى إحـــدى المستشفيات الشهيرة فى أمريكا لزوجين أبيضيـــن وكـــانت النتيجة - بعد شهور الحمل و إعادة البويضة المخصبة لـلأم - كارثة بكل المقاييس وفضيحة ما بعدها فضيحـــة ودليـــلا على ما سبق ذكره . جاء المولود توأما أسودين .. ! . وهو ما يعنى ببساطة استبدال (أو عدم استخدام) بويضـــة الأم والسائل المنوى للأب فى إتمام عملية التخصيب للحصـــول على نتيجة - أى نتيجة - تثبت كفاءة المستشفى الشهير فـــى إجراء مثل تلك العمليات المكلفة ونتيجة طبيعية لما حـــدث فقد رفع الزوجان قضية على المستشفى المذكور ســـتنظر خريف هذا العام طالبين التحقيق والتعويض عما حدث تبعـا لتلك النتائج المؤسفة والفضيحة العلمية الخطيرة التى نبـهت الناس إلى ما يحدث فى الخفـــاء دون علمـــهم . وشـــرعا المولود إذا كان بالفعل أصله بويضة الأم والسائل المنـــوي للأب فلا غرو فى ذلك ولا حرج . أما حكم الشرع فى هـذا الغش سواء المتعمد أو غير المتعمد (نتيجة خطأ أو ســـهو

غير مقصود) فإن المولود الناشئ يكون ابن زنا ويحــــرم انتسابه للأبوين .

وبهذه العمليات المشبوهة والمشكوك فـــى صحتـــها تختلط الأنساب وتضيع الحقوق وتنعدم الثقة بين الزوجيـــن وتُنتهك الحرمات والحدود التى شرعها الله سبحانه لصـــالح البشرية . وغريزة الأمومة والأبوة حينئذ ستكون مصطنعـة غير طبيعية أو شرعية وسيصبح من العسير التعرف علـــى المحرَّمات من النساء (عند التعامل أو الزواج) وســيكون من الضلال والغش والزور أن يتم تقسيم أنصبة المواريث طبقا للظاهر لا حقائق وبواطن الأمور . والنبـــى الكريـــم (ﷺ) يضع النقاط فوق الحروف حيث يقول :

* مابُنى على باطلٍ فهو باطل .

وهناك من العلماء والأطباء من يعزو عملية العقـــم إلى الختان وهو أمر لم يُحسم بعد . وكما هو معلـــوم فـــإن ختان الذكور لاغبار عليه ولا اختلاف فيه وهو شأن مـــن قديم الأزل (عملية ختان الذكور وجدت منقوشـــــــــة فى البرديات المصرية القديمة) . وهى من الفطرة السليمة

(كشأن حلق شعر الإبط والعانة وتقليم الأظافر وقص شعر الرجل وتهذيبه) . والختان يقى الذكر الكثير من الأمـراض . وهو هنا يأخذ فى حكم الشرع الوجوب والتحتيم أما فـــى الأنثى فليس هناك جانبا وقائيا (كالذكر) وإنما الأمر - كما يقول بعض الأطباء والناس - خـــاص بتحجيـم الغريـزة الجنسية والإثارة لدى الأنثى . وعليه فيكون - فـــى نظـر القائمين - وقاية للشرف والعِرْض . ورداً على تلـك الآراء نقول أن الغريزة الجنسية فى قوتها أو ضعفها لا تتبع ختـان الأنثى أو عدمه . وإنما تتبع البنيةوالتكوين الجسماني وعمـل الغدد (خصوصا الغدد الجنسية) والهرمونات قوة وضعفـا ونشاطا وخمولا.وعليه فلا ضرورة تحتم ختـان الإنـاث لا شرعاً ولا خَلْقاً ولا طِباً . بالإضافة إلى عوامـل خارجيـة أخرى مثل الإثارة الحسية والمعنوية كمشاهدة - أو تذكـر - مواقف أو صور أو ممارسات جنسية أو سماع مـا يثـير الغرائز من الحديث أو القصص أو النكات أو التعليقـات أو المداعبة والملاطفة من الزوج لزوجتة مهيئاً إياها للإثـارة الجنسية التى تتصاعد وتيرتها وحِدّتها حسب التمادي فـى المداعبة أو الملامسة وممارسة العملية الجنسية الكاملة . أما العوامل المعنوية فتشمل القبول من المرأة بمسايرة مشـاعر

الرجل ورغبته أو توقع المرأة لعملية الممارسة كأن يكون هناك موعداً متفقاً عليه من الزوجين (يوميا أو أسبوعيا) أو طقوساً معينة يُعرف ويُستشعر منها وجود الرغبة في الممارسة (أخذ حمام - التزين - التعطر - الاستماع إلى الموسيقى - إسدال الستائر على النوافذ .. الخ).

والعامل النفسي له تأثير كبير على شتى مراحل الممارسة الجنسية والنشاط الجنسي وسنعود إليه فيما بعد .

ووفى هذا المقام ينبغى الإشارة إلى أمر يشغل الكثير من الرجال والنساء على السواء وهو تباين وتفاوت الأجسام والأعضاء التناسلية فى مدى كفاءة العلمية الجنسية ودرجة التمتع للزوجين . وهو من الأمور المثارة والمطروحة دائما وكأنها مربط الفرس وحل المُشْكِل الذى اُختلِف فيه.فالمعلوم أن سن البلوغ لدى الذكر والأنثى يتفاوت ويرتبط بعوامل كثيرة منها الوراثة والحالة الجسمانية والصحة ودرجة هرمونات الجنس وغيرها . والبلوغ فى الذكر يعنى قدرته على إفراز السائل المنوى اللازم للتخصيب ويستتبع البلوغ خشونة الصوت ونمو شعر العانة والإبط ونشاط الخصيتين بما يؤهلهما لتكوين السائل المنوى المحتوى على الحيوانات

المنوية وأيضا نمو شعر الشارب والذقن (قد يتأخر ذلــــك لبعض الوقت) . وتضخم العضلات ونمو الحنجرة بدرجــة ملحوظة وظهور ما يُعرف بتفاحة آدم وكذلك أيضــا نمــو شعر الصدر والساقين والساعدين وبـــدء الشــعور بــاللذة الجنسية عند ملامسة الجنس الآخر والميل نحـــو الجنــس الآخر والرغبة فى التعامل معه ومجاراته الحديث والأفكـار والعواطف وكل ذلك ناشئ عن نشاط الــــهرمون الذكـرى المسمى بالتستوستيرون.ولدى الأنثى أيضــا عنــد البلــوغ تطورات وتغيرات جســمانية وفســيولوجية مثــل نعومــة الصوت والجلد واستدارة الأرداف ونمو الثدييــن وزيــادة طول شعر الرأس ونمو شعر العانة والإبط ونمـــو الرحــم والأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية بما يـــهيئ الأنثـــى لاستقبال الحمل بعد المعاشرة الجنسية وبدء عمل المبيضيـن ونشاط هرمونات الأنوثة (الاستروجين) واكتناز الشـــحوم حول الصدر والأرداف والفخذين وأعلى الساعدين وأســـفل البطن والميل نحو الجنس الآخر والإحساس بـــه كطــرف مغاير وترقق العواطف ورهافتها والشـــعور بــاللذة عنــد ملامسة الجنس الآخر والحياء الفطري.وتلاقى الذكر البــالغ مع الأنثى البالغة فى علاقة جنسية كاملة يمكن أن يفضـــي

إلى حدوث حمل ثم ميلاد لطفــــــل . وكما أسلفنا من قبل (الفصل الثالث : أنواع الزواج) فإن الفتاة تصلح للحمــــل والإنجاب بعد البلوغ . ولذا كان العرب قديما - ومـــازالوا - يتزوجون الفتيات الصغيرات متى بلغن . وإن لم تحض فإن الزوج ينتظــــر حتى البلوغ (يخطبها حتى تحيــض ثــم يبنى أى يدخل بها بعد البلوغ) وهذا إن دل علــــى شـــىء فإنما يدل على أن الفتاة أو المرأة مهما بلغ عمرها (بعـــد البلوغ) صالحة للزواج وللمعاشرة الجنسية مع رجل قـــد يكون فى مثل عمرها أو أكبر منها بكثير . وكما نعلم فـــإن فترة خصوبة المرأة غالبا ما تمتد حتى الخامسة والأربعيــن من عمرها . بينما الرجل تمتد فترة خصوبته إلى حوالــــى السبعين . وفى ذلك حكمة من الخالق . فالرجل قد يـــتزوج فى سن متأخرة لسبب أو لآخر مثل تجهيز المال والعمــــل ليتمكن من إعالة أسرة وليدة ، أو عند وفاة زوجة لــــه . أو بعد محاولات عدة للإنجاب ولكن زوجته العاقر تحـول دون ذلك . كما أن عدد النساء دائما يغلب - إن لم يفق - عــــدد الرجال فى معظم المجتمعاتوالأمر وارد وشائع فى المجتمعات وهو ما يدفع إلى وجود عدد من نساء المجتمع لم يـــتزوجن بعد مما يحدو ببعض الرجال أن يتزوجوا بواحدة أو أكثر .

وقد تروق الفتاة الصغيرة لعين الرجل المسن أكثر مما تروق له المتقدمة فى السن . وأيضا بعض الرجال قد يفضلوا المتقدمات فى السن للاستفادة بخبرتهن فى إدارة شئون بيت الزوجية أو حين يرغب فى عدم إنجاب المزيد من الأبناء أو كأن يتزوج بمطلقة أو أرملة أو عاقر. وخلاصة ما سبق أن التفاوت فى عمر الزوجين أمر وارد وشائع فى المجتمعات.وفى أغلب الأحيان يكون الزوج هو الأكبر سناً ولكن هذا لا يمنع من وجود زيجات عمر المرأة هو الأكبر من الزوج ونتيجة لهذا الأمر الطبيعى فإن المرأة - أى امرأة - بلغت المحيض تكون مهيأة لمعاشرة الزوج أيا كان عمره . وكما سبق وأوضحنا أن الله قد حبا بعض الرجال بصفات جسمانية مختلفة فإن إتمام العملية الجنسية بين الزوجين لا يعوقها شباب الرجل أو كبر سنه تماما كما أن حجم صدر المرأة (صغيراً كان أم كبيراً) ليس بعائق أمام إنجابها وإرضاعها للمولود . فحجم الأعضاء التناسلية للزوجين لم يكن مطلقا عائقا أمام الحياة الجنسية الطبيعية (فى عالم الحيوان والطيور وما شابهها نفس الشىء) أو الحصول على المتعة الجنسية لسبب بسيط وحكمة إلهية وهى أن مهبل المرأة يتكون من أنسجة تتقبض وتتبسط

حسب حجم عضو الذكورة . وتوضيح ذلك الأمر إنما للـرد على مدى حاجة الرجل إلى استعمال المنشطات التى سـبق الإشارة إليها فى الفصل السابق مـن عدمـه . خصوصـا الرجل العادي الذى لا حاجة له صحيا أو بدنيا لاسـتخدامها اللهم كما يتبادر للبعض ويشير بـه أن تلـك المنشـطات والمخدرات وغيرها إنما تزيد من حجم عضو الذكـورة . ولهذا السبب نجد أن بعض الرجال يعمدون إلى اسـتخدام تلك المنشطات رغبة فى زيادة الإحساس بالمتعة الجنسـية عند لقاء الزوجة وأيضا هناك أمر آخر أكثر أهمية ألا وهو مدى تمتع الزوج والزوجة أثناء المعاشرة الجنسية ومـا قيل وراج عن ذلك . فالمعروف أن المرأة يجب أن تكـون مهيأة للقاء الزوج جنسيا بمقدمات مثل الملاطفة والمـراودة والإثارة التى تنشط الإفرازات المهبليـة فتصبـح عمليـة المعاشرة غير شاقة أو مؤلمة للزوجين بالإضافة إلى التهيئة النفسية الهامة جداً . فلا يعقل أن تنفر المـرأة - لسـبب أو لآخر - من اللقاء الجنسي مع الزوج ثم يضغط عليها الزوج لقضاء شهوته هو دون أى اعتبـار لنفورهـا أو رفضـها فسيكون بالطبع ذلك اللقاء بين الزوج وزوجته لقاءً مؤلمـا للزوجة ومجهداً وشاقاً بينما يكون للزوج لقاءً فاتراً لا يشعر

معه بتجاوب الزوجة التى أبدت له عدم رغبتها أو تمنعها من قبل . ثم تكون النتيجة أن يتهم الزوج زوجته بالبرود الجنسي وعدم إرضائه أو قد يتهمها بما هو أفظع فيظن أن لها علاقة بشخص آخر وأن المودة والحب بينهما قد انتهيا

والمرأة - أى امرأة - قد يكون عندها من الأعذار والمبررات الكثير لعدم إتمام اللقاء الجنسي مع الزوج منها مثلا الانشغال بأمور المنزل أو العمل أو المذاكرة-إن كانت تدرس - ومنها القلق على مستقبل أولادها أثناء الامتحانات أو التوتر بسبب مشاكل العمل أو البيت أو بسب سوء معاملة الزوج لها وإهاناته المتكررة إلى درجة الضرب وتقبيح الوجه ثم ينتظر منها أن تلبى رغباته وكأنما شيئا لم يحدث منذ قليل بينهما.ويشير الرسول (ﷺ) إلى ذلك فيقول :

* يعمد أحدكم فيجلد امرأته (كناية عن شدة الأذى بها) جلد العبد فلعله يضاجعها (أو يجامعها) من آخر يومه[160].

**** لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها فى آخر اليوم[161].***

ثم إذا ما راجعته فيما يطلب منها يجيبها أن هذه نقرة وتلك نقرة أخرى . ثم فى آخر المطاف يشكو برود زوجته وعدم تجاوبها . وحتى العبد الذى يُضرب ضرباً مبرحاً ثم يُطلب منه بعد إهانته أن يؤدى لك عملاً فإنه بالطبع سيؤديه خوفاً من سيده ولكن الأداء سيكون فاتراً أو دون إخلاص أو هِمّة .

بل أن الرسول الكريم يعلمنا كيفية معاملة الزوجة فيقول :

*لا ترتموا فوق نسائكم كالبهائم . واجعلوا بينكم وبينهم رسول . قالوا وما الرسول يا رسول الله ؟ . قال القُبْلَة .

لأن فى تقبيل الزوجة تودد وتراحم وتهيئة لمباشرة الزوج لها فتأنس لعواطفه وينفتح صدرها وقلبها له وترقّ له وتتجاوب معه حتى يشعر بها وكأنها تستسلم له طواعية ورغبة وحبا . فالحياة الجنسية فى عالم الحيوان والطيور نرى فيها الكثير من الملاطفة والمداعبة حتى تأنس الأنثى للذكر وتتجاوب معه . والحياة الجنسية بين الزوجين ليست إلا امتداداً للحياة الأسرية بكل ما فيها سلبا أو إيجابا . فإذا كانت الحياة الأسرية فيها من المودّة والرحمة والسكينة فإن

الحياة الجنسية بين الزوجين ستكون بالقطع على نفس الوتيرة وتكون السعادة والمتعة واللذة الحسية على أشدها وفى وقت وجيز دون أن تحتاج إلى مقدمات طويلة أو تهيئة مضنية . وحتى طول أمد الاستمتاع بين الزوجين واستمراريته يكون أفضل وأكبر فى حالة استقرار الحياة بينهما داخل الأسرة بل ويمتد الأثر إلى ما بعد انتهاء العملية الجنسية . لأنه فى عالم البشر الحياة الأسرية والجنسية كلٌّ لا يتجزأ . وإذا ما حاولنا الفصل بينهما فإن النتائج تكون غير مرضية إطلاقا . والله يبين لنا ذلك فى قوله تعالى :

* *نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شِئْتم . وقدِّموا لأنفسكم واتقوا الله . واعلموا أنكم ملاقوه . وبشِّر المؤمنين* (162).

والتعبير القرآني شديد الدقة كما سبق وذكر جل شأنه فى قوله تعالى :

* *هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ* (163) .

**** ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها.وجعل بينكم مودّة ورحمة.إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون*** (164).

والعلاقة الجنسية تكون فى حدود الدقائق المعدودة ولكن يمتد أثرها لطول اليوم أو لعدة أيام ولا غرابة فى هذا الأثر الممتد . فنية الله فى البشر أن خلق الأنثى الأولى (حواء) من الذكر الأول (آدم) ليشعرا باتحادهما فى البنية والهدف والمهام وليشعرا بتكاملهما فى السعي والعمل والثمرة الناتجة عن امتزاجهما فى إطار الأسرة الشرعية وأن ذلك التكامل والاتحاد والامتزاج هو الذى ولد مفهوم السكن أى السكينة والاطمئنان والركون وليس هذا وحده ما أفاء الله به على الإنسان وإنما جعل المودّة والرحمة دليلا ومظهراً وسبب هذه السكينة . فبداوم المودة والرحمة والسكينة يحدث التفاهم والتمازج والاتحاد ليخرج النشء منهما معاً لا من أحدهما فقط . وتلك هي الآية الكبرى حيث تكون غريزة وفطرة الأبوين لا تتجزأ ولا تتنافر ولا تختلف . فكلاهما يحب المولود الناشئ عن اتحادهما وامتزاجهما أكثر من نفسه لأنه يمثل لهما الأمل الذى يجب

أن يكون أكثر إشراقا ورفاهية ورقيا . وهذا المولود الناشئ ما كان له أن يوجد ويخرج إلى النـــور إلا بكـــون المـــرأة كالثوب للرجل والزوج كاللباس والثوب للزوجة (هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ) وهو تشبيه بديع يدل على أن كلاهمـــا ملاصق للآخر لا ينفصل عنه ولا يستطيع أن يتخلى عنــــه فينكشف المستور وتظهر السوءات والعيوب لكلٍ على حده. والثوب ساتر للبدن وعيوبه . وكذلك فـــي حالـــة المـــودة والرحمة والسكينة بين الزوجين يصبحا كالثوب وصاحبـــه. والثوب يستر صاحبه وصاحب الثوب يملأ فراغ ثوبه فيبدو حسنا ووسيما وجميلا . ثم إذا ما رغب صاحب الثوب فـــي الالتصاق أكثر مع ثوبه والاستدفاء به والاستئناس داخلـــه كان كالزارع الذى يبدر الحَبّ داخل الأرض الطيبة ثم يعمد بيديه ليدفن الحَبّ داخل التربـــة وكأنمـــا يدفنـــها ويدفئـــها ويخفيهـــا عن أعين الفضوليين من الطيـــور والحشـــرات وغيرها حتى يكفل لذلك الحَبّ الظروف الملائمة للإنبـــات والنمو والترعرع فيجيء الزرع بثمره يانعاً طيبـــاً يبـــهج الناظرين ويثلج صدر الجارث الذى أحسن وضـــع الحَـــبّ والبذرة ليأتي الزرع والثمر على خير وجه مـــن الجمـــال والكمال . وهـــذا أيضـــا مـــا يحـــدث بيـــن الزوجيـــن .

فالـــــــزوج حين يأتى زوجته متى شاء ليس فـــى ذلــك أنانية أو استئثار أو قهر منه لزوجته وإنمـــا هــو تكــامل للرغبات وتمازج للأدوار واتحاد للأهداف وتوافق للـــرؤى فكما أن الأرض والتربة عطشى للحَبّ لتحتضنـــه وتتبناه حتى ينمو ويترعرع ويزهر ويثمر فتكتسي الأرض بالبـهاء والرونق والنماء والجمال فإن الزوجة أيضا تكون ظمـــأى للقاء الزوج تتلقف رغبته بشوق ولهفة كما تتلقــف الأرض الحَبّ والبذر بشوق ولهف مماثل حتى ينبت ويثمر . ولكــن لأن الحارث الذى يبدر البذور هو الذى يبدأ المسيرة فــإن الزوج هو الذى يبدأ أيضا مع زوجته . وهو أمر يتوافق مع الفطرة والطبيعة للأنثى الزوجة حيث أشرنا من قبل إلـــى صفاتها بعد البلوغ وقلنا أنها تتصف بالحياء الفطري . ***فلــو أن هذا الحياء غير موجود لبدأت هي مسيرة العلاقـــة الجنسية دون حرج ولكن الله أشار إلى أن الزوج هـــو الذى يبدأ المباشرة بقوله تعالى(فأتوا حرثكم أنّى شئتم) ليرفع الحرج المتولد ويجبر الحياء الطبيعي الفطـــري فى الزوجة ويصبح اللقاء الجنسي للزوجين هـــو فـــى حقيقته ليس تلبية لرغبة الزوج وحـــده وإنمـــا تلبيـــة***

لرغبة الزوجين معًا وليكون من أثر ذلك عدم خدش حياء المرأة فتطلب من زوجها المباشرة فيظن زوجها بها الظنون ويتدخل الشيطان بينهما ليفسد ما كان بينهما من المودّة والرحمة والسكينة والحب . ثم يمضى السياق القرآني فينصح الزوج بتهيئة زوجته لذلك اللقاء وذلك الاتحاد والتمازج والتكامل (وقدِّموا لأنفسكم) ومع هذه المقدمات والتهيؤ (من المداعبة والمراودة والقبلات) يكون تذكُّر الله وحكمته فى كل ذلك ورحمته التى جعلت تلك الدقائق المعدودة لإتمام العملية الجنسية سببا للمزيد من المودة والرحمة والسكينة والحب بين الزوجين . فلا يخدش الزوج حياء زوجته بقول أو فعل ولا تجرح الزوجة زوجها بقول أو فعل من شأنه أن ينغص حياتهما الزوجية حتى تشملهما رحمة الله وعنايته وفضله بأن تكتمل سعادتهما ومتعتهما وآمالهما بحدوث التخصيب والحمل إن شاء الله بالإضافة إلى الإحساس الجسدي لكلا الزوجين من لذة ونشوة وراحة وسعادة ورضا بما هيأه الله لهما من سبل ومباهج تضفى على الحياة الزوجية المزيد من التآلف والتمازج والتكامل.وبعد ذلك فالتحذير من العلي القدير بأن

لقاء الله آت فلا يجوز إفشاء ما كان بين الزوجين من أحاسيس أو مشاعر للآخرين (واعلموا أنكم ملاقوه) والبشرى كل البشرى للمؤمنين (الأزواج والزوجات) الذين التزموا منهج الله وسننه في الحلال وحمدوا الله وشكروه على ما أنعمه عليهم من المتعة الحسية والروحية والنفسية والخلف الصالح إن شاء الله وقدَر .

*** إن من أشرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه (فى الجماع) ثم ينشر سرها[165].**

* عن أسماء بنت أبى بكر أن امرأة قالت : يا رسول الله إن لي ضرة فهل عليّ جناح إن تشبّعتُ من زوجي غير الذى يعطيني (أى تستزيد منه المتعة ليعجز عن إشباع ضرّتها) فقال رسول الله (ﷺ) المتشبع بما لم يعطِ كلابس ثوبَي زور[166].

*** عن ابن عباس قال . قال النبي (ﷺ) : أما لو أن أحدهم يقول حين يأتى أهله : باسم الله.اللهم جنّبني**

الشيطان.وجنّب الشيطان ما رزقتنا . ثم قدّر بينــــهما فـــى ذلك أو قُضى ولدٌ لم يضره شيطان أبداً[167].

وكل هذه النصائح-وغيرها مما سبق-لها أبلغ الفــائدة والأثر فى صلاح وخير الحياة الزوجية بيـــن الزوجيــن . وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) له من الآراء الســـديدة مــا يجدر الإشارة إليها حيث يقول :

* لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .

* استعينوا بالله من شِرار النساء . وكونوا من خِيـــارهن على حذر .

**** لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببــــن ماتحبوه.***

****جاءت امرأة بزوج أشعث أغبر تســألـه الخــلاص منه . فأمر به أن يُحَمّ وأن تُقلّم أظفاره ويؤخذ مــن شعره.ثم قال له ولمن فى مجلسه هكــذا فــاصنعوا***

لهن . فوالله إنهن ليحببن أن تـتزينوا لـهن كما تحبون أن يتزيّن لكم.

* ثلاث من الفواقر (الدواهى) : جـار مقامة إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها . وامـرأة إن دخلت عليها لسنتك (ذمتك بلسانها) وإن غبت عنها لم تأمنـها . وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك .

* عليكم بالأبكار لأنهن أكثر حباً وأقل خباً(خداعا) .

* سمع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) امرأة مـن وراء بابـها تنشـد:

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه وأرّقني ألاّ خليـل أُلاعبـه

فـوالله لولا الله لاشيء غيره لزلزل من هذا السرير جوانبه

فسأل عـن زوجها فعلم أنه خرج فى غزوة طالت غيبتـه فيها . فأمر بعد ذلك ألا تطال غيبة الأزواج فى الغزوات .

* ليمنعن النساء إلا من الأَكْفَاء .

أى تتزوج المرأة ممن يكافئها من الرجال فى الثراء والنجابة والمستوى الثقافي والاجتماعي وغـــيره حتـــى لا يشقى الزوج ولا تشقى الزوجة فيما بعد .

***** قال عمر بن الخطاب لرجل همّ بطلاق زوجته لأنــها لم يعد يحبها :**

أوَ كل البيوت بُنى على الحب ؟ . فأين الرعايــة والتذمم ؟ .

وذلك لأن الحب منوط بالأهواء التى تتغير بين آونــة وأخرى . وأن مناط التذمم والرعاية والتفاهم هو الأخـــلاق التى قلما يطرأ عليها تغيير .

* لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقــاً (غبيا) .

وهو بذلك يشير إلى حسن اختيار الزوجـــة العاقلـــة الذكية لا الحمقاء الغبية فتلد الحمقى والأغبياء .

ويحكى لنا التاريخ عن بعض الشواذ مـــن الرجـــال الذين ذاع صيتهم وقدراتهم الجنسية ومن هؤلاء (راسبوتين)

القس الروسي الذى ذاع صيته أوائل القرن العشرين (قبل الثورة البلشفية) حيث كان يدعى قدرته فى معالجة الأمراض المستعصية وتقرب - تبعاً لما شاع عنه - من العائلة المالكة الروسية وتغلغلت صلاته وصولاته فى البلاط الملكي ليتبين أنه يقوم بأموز الدجل والشعوذة للتأثير على نساء البلاط الملكي اللاتي كن يخضعن لطلباته مهما كانت . وكان أن استغل (سذاجتهن) وتأثيره الشخصي عليهن فكان يمارس معهن الخطيئة باسم متطلبات العلاج ثم تطور الأمر إلى إكراههن على المزيد من الممارسة خوفا من الفضيحة . وكان نفوذه وطلباته المختلفة الشاذة مدعاة لإثارة حفيظة رجال البلاط الذين كلفوا من يتكفل به والخلاص منه حتى تم ما أراد لهم بعد فترة . ولكن سيرته مازالت عالقة بأذهان الكثير من الناس بكونه يتمتع بقدرات جنسية شاذة وغير عادية وأن النساء رضخن وتوددن له بغرض الاستمتاع وقضاء الشهوات . وعلى شاكلته يروى لنا التاريخ عن كازانوفا ساحر الناس وفالنتينو معبود النساء . وتحاك القصص والروايات عنهم - وعن غيرهم - بأنهم كانوا يتمتعون بقدرات جنسية خاصة تجذب النساء إليهن . وقد شاب معظم تلك الروايات المبالغات حتى أنهم

أصبحوا كالخوارق فى الأساطير القديمة . وفى تاريخ الفراعنة يعرف الإله (مين) بأنه إله الخصب والنماء ويصور على جدران المعابد فى نقوش يظهر كرجل عار ذو عضو ذكورة غير طبيعي دليلا على قدراته الخارقة . وكل تلك الروايات والأساطير (ومثلها التى وردت فى قصص ألف ليلة وليلة عن الجني ذى القدرات الجنسية الخاصة) ما هي إلا مبالغات وخرافات قصد من ورائها ضرب المثل بهؤلاء - وغيرهم - ممن يتمتعون بالخوارق من القدرات الجنسية وكأن تلك القدرات الشاذة هى مناط ومحور المتعة الجنسية الحقة والحياة الزوجية السعيدة . (وهو ما أشرنا إلى نفيه فى أول هذا الفصل) . وأُلصق زوراً بالخليفة هارون الرشيد مثل تلك الروايات وهو منها براء فقد كان زاهداً ورشيداً وفاتحاً إسلامياً عظيماً وعفيفاً .

وعلى الجانب الآخر إذا ما تناولنا أسباب العجز الجنسي نجده ينقسم إلى قسمين :

(المقصود بالعجز الجنسي هو:

ما يُطلق عليه البرود الجنسيأوالنفور فى المرأة والعِنّة وعدم الانتصاب لعضو الذكورة فى الرجل) :

أولا: العجز الدائم:

وهو الناتج عن المرض أو لوجود عيوب خِلْقية عند الولادة أو بعدها أو نتيجة حادث عرضي أو لوجود شلل بالأطراف (نصفى أو كلى) أو لكبر السن والشيخوخة بعد أن كان طبيعياً فى شبابه أو أمراض القلب . أو الإخصاء أو الجَبْي (اجتثاث عضو الذكورة) وينتج عن كل تلك الأسباب عدم القدرة على انتصاب عضو الذكورة لإتمام عملية الجماع . وفى المرأة أيضا ما يمكن اعتباره عجزاً جنسياً يتمثل فى انتفاء الرغبة والشهوة والإحساس بالحاجة إليها والنفور من الرجل وبالتالي لا تكن لها الرغبة فى الزواج أو ممارسة العملية الجنسية وإذا ما تمت المعاشرة الجنسية تكون المرأة غير متجاوبة مع الرجل إطلاقا وتكون الممارسة بالنسبة لها شاقة ومؤلمة وتشعر معها (بالقرف) والنفور الشديد وتمنى الخلاص من الحياة بأسرها . وهنالك من الأسباب ما يفضى إلى ذلك مثل المرض (البلهارسيا والقلب والسرطان) واستئصال لأعضاء التناسلية الهامة (كالرحم والمبيضين) والختان الجائر (الذى يتم فيه استئصال البظر كلياً أو أغلبه) وبنسبة أو بأخرى فى

حالات الشلل (النصفى أو الكلى) أو للشيخوخة والهِرَم أو بسبب صدمة عصبية أو إصابة فى عظام الحوض لا مجال للشفاء منها .

وفى كل تلك الحالات - العجز الدائم - تكون العقاقير والمنشطات وغيرها غير ذات تأثير فعال فى الحصول على نتائج مرضية أو تحسن ملحوظ فى حالة الرجل أو المــرأة على السواء . وتفشل العلاقات الجنسية بين الزوجين ولكـن لا يعنى ذلك فشل الحياة الزوجية . فكما أشرنا من قبــل أن الممارسة الجنسية هى إحدى الأمور المتعلقة بنجاح الحيــاة الزوجية بنسبة أو بأخرى ولكنها ليست الحياة الزوجية كلـها واستمرار المودّة والرحمة والسكينة بين الزوجين عوامــل هامة لاستمرار الحياة الزوجية (كما نرى ذلك جليــاً فــى حالة تقدم عمر الزوجين أو مــرض أحدهمــا أو كلاهمــا بمرض يحول دون الممارسة الشرعية).

ثانيا :العجز المؤقت :

أ-وهو فى المرأة ينتج عن:

- **المرض** : ومنها فترات الحيض والنفاس وبعد الإجهاض وأمراض الجهاز التناسلي واصابات عظام الحوض وغيرها . والشفاء منها يعيد المرأة لحالتها الطبيعية وأيضا حالات المرض النفسي كالقلق والأرق والتوتر والإحباط والاكتئاب والصرع وما إلى ذلك .

- **الختان** : وعلى قدر نسبة استئصال البظر تكون نسبة العجز والتى يمكن تعويضها بزيادة أمد فترة الممارسة الجنسية وقت الجماع مع المزيد من التهيئة والمداعبة والملاطفة من الزوج حتى تتهيأ الزوجة للممارسة وقد يتطلب الأمر استخدام المنشطات أو المخدر الموضعي للزوج لاطالة مدة الممارسة .

- **العازل الطبي** : وهو يسبب للمرأة عجزاً تتفاوت درجته من حالة لأخرى ومن وقت لآخر . وبعدم لجوء الزوج لاستخدام العازل الطبي واتباع وسائل أخرى تعود الحالة فى المرأة إلى طبيعتها (يمكن استخدام وسائل موضعية لمنع الحمل أو استعمال الحبوب أو الحقن أو اللولب) . ويمكن للرجل الممارسة الطبيعية

فى فترات الأمان (من انتهاء الدورة وحتى اليوم التاسع منها وفى اليومين الأخيرين قبل نزول الطمث).وقبل اختراع العازل الطبي كان العزل يتم بنزع عضو الذكورة قبل الإنزال وقذف السائل المنوي مباشرة إلى خارج المرأة :

* قال جابر : كنا نعزل والقرآن ينزل (كناية عن عدم التحريم)[168].

* عن عطاء عن جابر قال : كنا نعزل على عهد النبي (ﷺ) والقرآن ينزل[169].

* عن أبى سعيد الخدرى قال : أصبنا سَبْياً (جواري وأسارى) فكنا نعزل . فسألنا رسول الله (ﷺ) فقال : أوَ إنكم لتفعلون.قالها ثلاثا . مامن نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة [170].

والعزل (سواء باستخدام العازل الطبي أو النزع) يتسبب بعد طول التكرار فى إصابة الزوجة بالعجز الجزئي لعدم اكتمال متعتها أو انقطاعها فجأة نتيجة للنزع .

➢ **فض غشاء البكارة :** ليلة الزفاف تكون الفتاة البكر في أقصى درجات التوتر والرهبة لما تسمعه من صديقاتها أو حتى عدم سماعها عن عملية فض غشاء البكارة وما يلازمها من آلام ومعاناة والأمر كله لا يعدو تخمينات وتوقعات وتصورات وأحاسيس لا تكون كما يُشاع عنها. وغشاء البكارة يختلف من فتاة لأخرى في حجمه وشكله وسمْكه أو رِقّته . والممارسة الطبيعة بالجماع هي أفضل طرق فضّه على الإطلاق مما يجنب الفتاة آثاراً جسدية ونفسية نتيجة ممارسات خاطئة مازالت منتشرة بين الأسر خصوصا في الريف والصعيد والمناطق البدوية حيث تتطلب تلك العملية امتهان لكرامة الزوجة وممارسات همجية تضر بالمرأة وتتسبب في درجة من العجز والنفور الجنسي طيلة حياتها الزوجية.فحضور الأم أو الحماة أو من ينوب عنهما تلك العملية وإصابة الفتاة بجروح في جهازها التناسلي قد تتطور إلى نزيف خطير وجراح نفسية تعلق طوال عمرها في سبيل الحصول على منديل - أو غيره - مخضب بدماء العروس لإثبات بكارتها ونقاء شرفها دون النظر إلى ما تعانيه العروس من امتهان

لخصوصيتها وجرح لحيائها الفطري وكشف لعورتها أمام الآخرين وإحساسها الداخلي وكأنها في معركة لإثبات حسن سيرها وسلوكها تنزف فيها . والعلم الحديث اكتشف أن هناك أنواعاً من غشاء البكارة يقاوم الضغط عليه ويكون مرناً مطاطاً ولا ينفضّ وإذا ما تم فضّه لا ينضح دماً كافياً يشفى غليل أهل العروسين فيلجأ الممارسون والحاضرون الموقعة إلى جرح العروس لاستنزاف المزيد من الدماء والتى قد يتطلب وقفه عملية جراحية ومتابعة الطبيب . والممارسة الطبيعية لليلة الزفاف بين الزوجين تزيل الكثير من آثار تلك العملية الطبيعية إذا ما تمت بالشكل الصحيح الذى لا يخدش حياء المرأة ولا يكشف عورتها للآخرين ولا يتسبب فى وجود هوّة بين الزوجين قد لا تندمل مهما مضى الزمن لسبب أو لآخر .

- **الاغتصاب** : قد تتعرض المرأة لاعتداءٍ جسدي واغتصاب لظروف مختلفة أغلبها من رجال لا ينتسبون لأية أخلاق أو مِلّة أو دين.تجردوا من إنسانيتهم فى سبيل الاعتداء على حرمات الآخرين واغتصاب إناث قد

يكن أبكاراً أو زوجات أو حتى أطفال . وكما بيّنا فيمـــا سبق أن الممارسة الجنسية بين الرجل والمـــرأة إن لـــم تكن فى إطار من المودّة والرحمة والســـكينة والوفـــاق فإنها تؤتى ثماراً ونتائج عكسية غير المراد منها فيمـــا بين الزوجين . فما بالنا لـــو أن الأمـــر فيـــه اعتـــداء واغتصاب وامتهان وتهديد بسلاح أو بغيره ومن عـــدة رجال لا رجل واحد فى ذات الوقت وظـــروف نفســية وإنسانية وجسدية غير طبيعية فإن الأمـــر جـــدّ فظيـــع ومريع للفتاة أو المرأة التى اُغتصبت . فهى إن كـــانت فتاة فالعنوة والتهذيد والعنف المصـــاحب للاغتصـــاب يترك أثراً فيها بما يفوق أثر عملية فضّ غشاء البكـــارة الذى أشرنا له آنفا . وتظل الحادثة البشعة عالقة بـالنفس والجسد لمدة طويلة ربما لآخر العمر.وقد ينتـــج عـــن الاغتصاب حمل أو نزيف أو أيـــة إصابـــات جســدية بالإضافة للإصابة النفسية .

وإذا كانت الضحية امرأة فربما تكون حائضا فتتسبب العملية لها فى إصابات جســدية والتـــهابات موضعيـــة وداخلية تحتاج لعلاج طويل بالإضافة إلى آثار أخـــرى

من امتهان للكرامة وعصف بالحياء ووأد لكل القيَــم إن كانت المغتصبة فى عمر أم الجناة أو الجــاني ولربمــا يكون الحمل أحد الآثار الناجمــة عــن ذلــك الاعتــداء الجســدي واللاإنساني . وكل ذلك يتسبب فــى تحطيــم نفسية المرأة فتاة كانت أو امرأة فتخفى ما حـــدث لــها خشية الفضيحة وتكتم آلامها الجســدية والنفســية التــى تلازمها طيلة حياتها وتتذكرها وقت الممارسات الطبيعية مع الزوج فتنشأ عن ذلك عجزاً جنسياً للمرأة تحتاج فيــه إلى جرعات مكثفة من العلاج النفسي حتى تتجاوز آثــار الاعتداء وتحتاج فيه إلى العلاج الجسدي والطبي لمداواة ما حدث من آثار سواء كان هناك حملاً أو لا .

➢ **ممارسة البغاء :** والمرأة التى تجردت من أخلاقـها ودينها لتبيع عِرضها وشرفها نظير جنيهات تُنفق فـــى حرام كما جاءت من حرام فإنـــها لكــثرة الممارســات الجنسية تصل إلى حالة من العجز فلا تشعر بلـــذة ولا تنعم بسكينة أو استقرار نفسي وجسدي وتتعرض للمزيد من احتمال الإصابة بأمراض جنسية أو تكـــون حاملــة لعدواها وتصل فى نهاية الأمر إلى النفـــور مــن كــل

الرجال وإذا ما ارتبطت بزوج وتابت فإنها تظل متذكرة ممارستها السابقة مع رجال تعرفهم أولا تعرفهم وتعيش طيلة وقتها فى توتر نفسي لا تبرأ منه وعناء جسدي نتيجة للانتهاك والإفراط حتى أنها قد تطلب من زوجها مجاراتها فى نهمها وشبقها فلا يتمكن من ذلك أو تطلب من زوجها الإقلال من الممارسات الجنسية وكأنما قد شبعت وارتوت ولم يعد لها رغبة ولم تعد تنعم بمتعة أو لذة فتنفر من لقاء زوجها وتصاب بعجز جنسى لا شفاء منه إلا بعلاج نفسي وروحي وتوبة صادقة مع الله وعزم على الاستقامة والهداية ونسيان الماضي بكل ما فيه من معاناة وممارسات وذكريات والإكثار من الإخلاص للزوج والتودد إليه وطاعته واستمالة عواطفه والتجرد من تجارب الماضي برمته ومعايشة الحاضر بروح الميلاد الجديد والاستقامة الكاملة وترجو رحمة الله وعفوه . (ونفس الشيء مع من تمارس الخطيئة مع رجل قبل الزواج منه) .

➢ **عدم التكافؤ بين الزوجين** : والتكافؤ المقصود هنا يشمل أشياء كثيرة منها فارق السن بين الزوجين حيث

تشعر المرأة بالعجز إن كان الزوج يفوقها عمراً وأقل حيوية فلا ترتوى ولا تشبع ولا تهنأ معه جسديا . أو قد يكون الفارق الاجتماعي سبباً لإحساس المرأة بالدونية (كأن تتزوج الخادمة سيدها أو السكرتيرة رئيسها أو صاحب العمل أو الطالبة من أستاذها) أو قد يكون هذا الفارق سبباً فى الإحساس بالكِبْر والاستعلاء (إذا كانت الزوجة ثرية وتزوجت من أحد عمالها أو مستخدميها أو ممن هم دونها) فكل تلك الفوارق الاجتماعية والعلمية والثقافية تكون سبباً فى العجز الجنسي لدى المرأة ولو لفترة محدودة تزول بمضي الزمن وطول العشرة وازدياد المودّة والحب والتقارب والانسجام حين يدرك الطرفين أن الفوارق المختلفة يجب ألا تكون عائقاً أو حاجزاً بين الزوجين يمنع التمازج بينهما ويحول دون الاستقرار النفسي والجسدي المطلوب بينهما .

➢ **النصائح المدمرة من الآخرين :** وهو من الآفات الاجتماعية للسيدات اللاتي يلتمسن النصح من آخرين لهم تجارب زوجية غير سوية أو لم ينلها التوفيق فتجنح

الزوجة لتقليد من نصحوها فتوغر صدر زوجها نحوها وتزيد من حنقها على زوجها الذى لا يستجيب لمطالبها الجديدة وطباعها التى تصطنعها وتوجيهاتها التى استقتها من ذوي الخبرة السيئة والمغرضة فيحدث الشِقاق والتنافر الجنسي بين الزوجين ويحدث البرود في العواطف والمشاعر يتبعه قصور وعجز جنسي لدى المرأة التى تترك نفسها نهباً لتجارب خاطئة ونصائح مدمرة قد تقضى على حياتها الزوجية بعد فترة من الاستقرار والنمو .

➢ **غيرة الضرائر :** وكما أشرنا من قبل تحذير النبي (ﷺ) للمرأة أن تتشبّع من زوجها على حساب ضرائرها فتصيب منه ومعه المتعة الجسدية على غير رغبته أو استعداده إرضاءً لها وغيرة من ضرائرها ثم يصل بها الحال - نظراً لافتقاد المودة والرحمة والسكينة - إلى درجة من التعوّد والعناد وتنتفي معها المتعة الطبيعة والحقيقة ويحل بدلا منها آلية الشعور وفتور العاطفة وبرود الأحاسيس فينقلب الحال إلى الضد .

ولا سبيل لعلاج ذلك كله إلا بالاعتدال وعدم الإفراط والقناعة والرضا فلا تجور على حقوق ضرائرهـا ولا تسلب زوجها عطاءه الطبيعي وعواطفه دون إكـراه أو حرج أو استنزاف حتى تكون السكينة والمودة والإيثـار هي المشاعر التى تغمر بيت الزوجية كما كان يحدث من زوجات النبى (ﷺ) أمهات المؤمنين حين كانت تؤثـر بعضهن راحة النبى على راحتها فتتخلـى عـن ليلتـها ويومها المخصص لها لغيرها من أزواجه فتدوم المـودة والصفاء بين الزوجات لا الشقاق والعراك والتنافر الذى ينعكس أثره على الزوج وعلى بيت الزوجية .

➢ **أسباب خارجية مؤقتة** : وهى تتسبب فى الـبرود والعجز الجنسي لدى الزوجة مؤقتاً بدوام المؤثر كـأن يكون الزوجان ضيوفاً عند آخرين أويقيم آخرون ضيوفاً عند الزوجين فتكون الممارسة الزوجية مغلفة بمشـاعر الحرج والكبت من مشاركة آخرين لهم فـى حياتـهم . ومنها أيضا ضيق المسكن ووجود أبنـاء فـى عمـر المراهقة أو البلوغ وتزاحم الأسرة وهو مانراه جليّاً فـى الرحلات ومساكن الأسر المعدمة والفقيرة حيث تعيـش

الأسرة كلها فى حجرة واحدة وتتم الممارسة الجنسية على مرأى ومسمع من الأبناء والأسر الأخرى المجاورة كما فى العشوائيات والمخيمات ومساكن الإيواء والفنادق والمعسكرات الجماعية وفى الرحلات البحرية وغيرها وتكون الممارسات الجنسية بين الزوجين فى تلك الحالات وما شابهها فى إطار من الكبت والحرج والحياء ثم مع التعوّد والتكرار تتم الممارسات بطريقة آلية لا روح فيها ولا مشاعر أوأحاسيس ويعانى فيها الزوجان من العجز المؤقت خصوصاً عند الإحساس بوجود آخرون يتنصتون أو يتلصصون ويتجسسون وتلك الحالة تزول آثارها بمجرد زوال السبب . وخطورة المساكن الضيقة والمتلاصقة والعشوائيات ومعسكرات الايواء فى أن أثر الممارسات الجنسية للزوجين لا ينعكس عليهما فقط وإنما على الأبناء والفضوليين والجيران من صغار السن خصوصا الفتيات حيث ترسخ فى ذاكرتهم تلك الممارسات بما فيها وما عليها من إيجابيات وسلبيات وتسبب - فى غالب الأحوال - إما فى انحراف مبكر للأبناء أو فى أمراض نفسية تلاحقهم وعقد تطاردهم طيلة حياتهم فتؤثر فيهم

عند الزواج أو تكون مدعاة لممارسات غـــير شــرعية للتقليد والتمتع بما هو مجهول ويجنى آثـــار كــل ذلــك المجتمع الذى ينخر فى قواعده وأركانه تلك الانحرافـات الخُلُقية والهوس الجنسي حيث يتصور الأبناء أن الزواج ما هو إلا إرواء للمتع الجسدية وحسب .

➢ **عوامل نفسية :** مثل الإحباط والاكتئاب والقلـــق نتيجة عوامل مؤقتة مثل وجود خلافـــات حياتيـــة بيــن الزوجين يتخللها الإهانة أو الضرب أو السباب ومثـــل فترات امتحانات الأبناء أو مرور الأسرة بضائقة ماليـة أو عجز ومرض أحد أفرادها ومثل تفضيل زوج لإحدى الزوجات على غيرها فيتسبب ذلك فى إيلام نفوس بـاقي الزوجات ومثل استجابة الزوج لشكاوى أبويه فيتعمـــد لإرضائهما إيذاء زوجته نفسيا وبدنيا وعدم تصديقها فيما تفعل وتقول ورفض الاستماع إليـــها أو الميـل إليــها والوقوف فى صفها أو الدفاع عنها ضد أبويه . ومثـــل تلك الضغوط النفسية تتسبب فى كبت واكتئاب الزوجـــة لشعورها بالظلم وبالتالي يصيبها العجز الجنسي المؤقت وبزوال السبب كأن تقيم بمفردها بعيداً عن أسرة الـزوج

وأهله أو تستميل أهل الزوج وتكسب ثقتهم وحبهم ومودتهم وتتجاوز عن تدخلاتهم فى حياتها وتشعرهم بأنها ابنة لهم لا زوجة تستأثر بابنهم وتستعديه عليهم . ومثل تلك المشاكل التى تثير النفوس يمكن معالجتها بطريقة أو بأخرى . يتغلب فيها العقل على العاطفة وتأليف القلوب والنفوس لا إشاعة الفرقة والشقاق وإيغار الصدور .

- **الخيانة الزوجية :** وخيانة الزوج لزوجته عند اكتشافها تتسبب فى آلام نفسية كبيرة للزوجة وإحساس بالدونية والمهانة وتحطيم الكبرياء واكتشاف الزوج لخيانة زوجته لها نفس الآثار وإن فاقتها بالطعن فى رجولته وكفاءته كزوج .

* ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً[171].

والخيانة من الزوج تدفع المرأة للنفور من الزوج والشعور بنجاسته وبأنه زائغ ونهم وشهواني لا يكفيه الحلال ولا زوجة واحدة فيلجأ إلى خليلة (عشيقة). تشبعه وترضى نزواته . والزوجة حينئذ ينتابها إحساس بالنفور الشديد من الزوج ويصيبها الفتور فى العلاقات

الزوجية والأسرية والبرود الجنسي تجاه الـزوج الـذى أهانها وعصف بكرامتها وحطم كبريائـها . فـإن هـى صدته ومنعته نفسها تظن أنه سـيتمادى فـى نزواتـه فتحاول استمالته دون شعور حقيقي بالانجذاب والصفـح فتتأرجح مشاعرها وعواطفها بين الرفض والاسـتجابة وتتأرجح بالتالي أحاسيسها الجسدية بيـن الاسـتمتاع و (القرف) والنفور . والحل يكون فى يد الزوج أكثر مما هو فى يد الزوجة بأن يبدى ندمه وأسـفه الحقيقـي وأن يؤكد على إخلاصه لها بالقول والفعل ويحاول أن يكسـب احترامها وثقتها فيه بدرجة متنامية علـى أن يؤجـل المعاشرة الجنسية حتى تزول جبال الجليد بينهما وحتـى يرى من الزوجة ما يدل على صفحـها ونسـيانها (أو تناسيها) زلته وخيانته لها فتعود العلاقة بينهما تدريجيـا لتصبح طبيعية متوازنة بعد تقديم ما يثبت التوبة الصادقة وعدم تكرار الخيانة .

➢ **بلوغ سن اليأس :** وينتج عنه إحسـاس نفسـي بانتهاء الآجال والمهام الحياتية وبالتـالى الزهـد فـى

الممارسات الجنسية وتزول تلك الآثار بعد فترة . ويجب على الزوج المزيد من التودد والاهتمام بزوجته .

- **العقـــــــــم** : وقد يتسبب عقــم المــرأة أو الرجل أو كليهما في الشعور اللا إرادي بعـــدم جــدوى العلاقات الجنسية بين الزوجين نظراً لانعدام الأمل فـــي الإنجاب . وعلاج ذلك أن يتيقــن ويتعــامل الزوجــان بموضوعية ودفء فى العلاقات ونبذ المناقشات حـــول موضوع الإنجاب أو التذكير به واعتباره أمــراً عاديــاً وابتلاءً من الله لا يدّ لهم فيه ولا حيلة لـــهم فـــى رده . والحياة الزوجية كما أشرنا هى مجموعة من المشـــاعر والرغبات والأهداف والرؤى قوامها المودّة والرحمـــة والسكينة بين الزوجين ونتائجها بيد الله وحده . وإحــدى النتائج المرجوة هى الإنجاب الذى هو بيد الخالق عزّ وجلّ والتفاهم والتعامل بين الزوجين يجب أن يكون فى إطــار الأخذ بالأسباب والتسليم بقضاء الله وعـــدم الإحســاس بالتقصير من الزوجين. ومن يــدرى فلعــل الله يبــدل صبرهم إلى تحقيق ما تصبوا إليه نفوسهم . ويســـتلزم

ذلك مقاومة الشعور والإحساس حتى تزول آثار العجـز الجنسي النفسية والمادية .

* قال رب أنَّى يكون لى غـــلامٌ وقــد بلغنـــى الكِـبَر وامرأتى عاقر . قال كذلك الله يفعل ما يشاء(172).

➢ **الاغتراب** : وهو يشمل اغتراب الزوج أو الزوجـة نتيجة العمل أو السفر أو حتى سجن الزوج لأي ســـبب كان . وهذا الفراق الجسدي المؤقت يتبعه شعور بالبرود الجنسي وكبت الرغبات والأحاسيس كلما أيقظها ســـبب من الأسباب وهو شعور مؤقت يزول بـــزوال الســـبب المؤدى إليه .

➢ **الدمامة والهندام** : ودمامة الزوج قد تثـــير فـــى الزوجة الشعور بالنفور من العلاقات الجنسية . وكذلـــك أيضاً عدم اهتمام الرجل بنظافته وهندامه . وقد ذكرنـــا من قبل نصيحة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حينما جاءته امرأة بزوجها الأشعث الأغبر تســـأله أن يفـــرق بينهما (بالطلاق أو الخلع) فأمر الخليفة بـــه أن يُحـــمّ

ويقلم أظفاره ويؤخذ من شعره مبيناً أن النســاء أيضــا يحببن تزيين الزوج لهن مثلما يطلب منها التزين له.

والسيرة النبوية العطرة تذكر لنا قصة امرأة ثابت بن قيس حين أتت النبي (ﷺ) فقالت :

* يا رسول الله . ثابت ما أعتب عليه فى خُلُـق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام . فقــال رســول الله (ﷺ) . أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . قال رسول الله (ﷺ) أقبل الحديقة وطلقها تطليقة [173].

والحديث مروى بعدة روايات والمعنى فيه أن ثــابت كان ثرياً ويمتلك حدائق وحين أراد الزواج أمهر زوجتـــه حديقة وقبلت المرأة الزواج منه رغبة منها فــى التمتــع بالثروة . وكان ثابت دميماً ولكنها تجاوزت عن ذلك أمــام شهوة المال . وبعد الزواج والمعاشرة الجنســية أدركــت زيف مشاعرها ورغباتها وأرادت الخلاص منه والخلع عنه لشكله الذى لم يعد يروق لها ودمامته التى قارنتها بــآخرين يتمتعون بالوسامة وحسن المظهر . ومثل تلــك الحــالات وماشابهها (كأن تتزوج فتاة من كهل ثرى ثم بعــد فــترة

تنفر منه) تتكرر كثيراً وفى بداية الزواج تكـــون الفتـــاة مدفوعة إلى التمتع بالمال أو الجاه أو المنصب ثم تفيق بعد فترة من الزواج وتطلب الانفصال طلاقا أو خلعا وتعلـــن أنها أدركت خطأ موافقتـــها . وإذا مـــا اســـتمرت الحيـــاة الزوجية أكثر من ذلك تجد نفوراً شديداً تجاه الزوج يصيبها بالبرود الجنسي . وعلاج ذلك هو الانفصال إما بالطلاق أو بالخلع .

➢ **المكيّفات والتدخين** : وكثير من النساء ينفـــرن من الزوج المدخن أو الذى يتعاطى المكيفات كالحشـــيش أو الكحوليات حيث تكون رائحة الفم ورائحـــة حجـــرة النوم منفرة ومثيرة للأعصاب وتزيد من توتر الزوجـــة التى يصيبها البرود الجنسي من جراء ذلك . وقد تنصح الزوج بالإقلاع ولكنه يرفض فتسلمه نفسها دون أدنـــى مشاعر أو أحاسيس وتتعامل معه كالجارية التى تطيـــع سيدها . وعلاج ذلك الامتناع نهائيا والإقلاع عن تعاطى المكيّفات وشرب السجائر أو الغيلون أو السيجـــار أو (الجوزة) والنارجيلة أو الكحوليات وكلـــها موبقـــات وخبائث وخمر يجب الإقلاع عنه نهائياً لحرمته شرعاً .

* الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث[174]

٢- عجز الزوج المؤقت ينتج عن :

➢ **المرض** : وهو المصاحب لوهن العظام والعضلات وفترات النقاهة من العمليات الجراحية وممارسة الأعمال الشاقة على الدوام والتهابات الجهاز التناسلي وأمراض الصدر والمسالك البولية واصابات البلهارسيا . وبعلاج السبب يصبح الرجل أقرب إلى الطبيعي وينتفى القصور والعجز .

➢ **العازل الطبي** : وقد يتسبب لبعض الرجال فى عِنّة مؤقتة ينتج عنها ارتخاء العضو الذكرى لعدم الإحساس باللذة الجنسية وملامسة الزوجة وبالتخلى عنه يصبح الرجل طبيعيا . وكثير من الرجال الذى تعودوا

على استخدام العازل الطبي لا يشكل لهم أى قصور أو ضعف أو عجز :

- **ليلة الزفاف :** وتشكل أحداث تلك الليلة توتراً ملحوظاً لدى المرأة والرجل على السواء . وبعض الرجال تنتابهم مشاعر الإحساس بالفشل والإحباط والخوف والرهبة من العجز أو إبداء القصور والضعف وكلما تتأخر عملية فضّ غشاء البكارة يحدث القصور والعجز لدى الرجل والمرأة على السواء وقد يكون التدخل الجراحي حلاً ولكنه يترك أثره النفسي على المدى البعيد.وأيضا وجود أهل العروس والزوج معا أثناء تلك العملية له نتائجه السيئة . والمعاشرة الطبيعية كفيلة بحل الكثير من مشاكل تلك الليلة وآثارها المترتبة عليها وما بها من أحداث . وفى كل الحالات تزول آثار العجز والقصور بمضي الوقت والمزيد من التقارب بين الزوجين وتنامي المودّة والثقة والحب بينهما .

- **الاغتصاب :** ونعنى به علم الزوج بتعرض زوجته للاغتصاب سواء قبل أو بعد الزواج وهو ما يترك آثاره

السيئة لفترة من الزمن قد تطول أو تقصر حسب الرغبة من الزوجين فى تجاوز المحنة والمأساة ويجب فيها معالجة الزوجة نفسياً وعدم معاشرتها جنسياً لفترة حتى تسترد تماسكها واتزانها النفسي والجسماني وتجابه الذكريات المؤلمة مع الزوج بحكمة وتراحم .

➢ **ممارسة الزنا** : الزوج الذى يمارس الزنا قبل الزواج قد يشعر بالرهبة والخوف أكثر مما يتعرض له الشخص المستقيم نظراً لعقدهِ المقارنات بين الزوجة والغانية فهو إن حاول أن يتعامل مع الزوجة بمفهوم وبطريقة تعامله مع الغواني قد يلقى نفوراً وصدوداً ومؤاخذة من الزوجة العفيفة مما يؤدى إلى حدوث عِنّة مؤقته له إلى أن يتمكن من التعامل بحرص ولباقة وكياسة لا تجرح شعور الزوجة أو تشعرها بتماثلها مع الغواني . ونفور الزوجة وضيقها من تصرفاته وممارساته تصبها بالبرود الجنسي وعدم التفاعل والتجاوب مع الزوج مما يسبب له أيضاً إحساساً بالعجز لعدم مقدرته التعامل مع زوجته رغم أنه كان زير نساء ذو تجارب وصولات . كما أن الزوج

المنحرف قد يجد فروقاً هامة بين التعامل مع الزوجة العفيفة والتعامل مع الغواني . وعلى قدر رغبته في الاستقامة يكون تجاوب الزوجة أو نفورها الذى يتسبب فى إصابته بعجز مؤقت.والموضوع برمته يحتاج إلى التعامل بحكمة ورويّة من جانب الزوجة والزوج على السواء حتى تكون النتائج مرضية والعلاقات سوية في إطارها الشرعي المرغوب .

➢ **عدم التكافؤ بين الزوجين** : كأن يكون الزوج أقل شأنا ومنزلة من الزوجة أو العكس . وفى كلا الحالين يتطلب الأمر من الزوج التعامل بكياسة ولباقة حتى تكون المشاعر إيجابية وتتجاوز الأحاسيس المهانة الفعلية أو المتوهمة بين مكانة الزوجين ويستلزم ذلك المزيد من الإخلاص والمصداقية والاحترام المتبادل حتى تكون الزوجية فى إطار من العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات ودون المساس أو التعالي أو الازدراء بين الطرفين هى أساس الحياة الزوجية فلا يحدث العجز أو الشعور به .

- **تعدد الزوجات** : وهو ما يتسبب فى الكثير من مشاكل الزوجية التى تحتاج لحكمة الزوج وكياسته لتجاوز غيرة الزوجات الضرائر وتجاوز الإفراط في الممارسات الجنسية التى تنعكس على نشاط الزوج وقدرته بل وعجزه أحيانا .

- **نصائح الآخرين** : وأغلب هذه النصائح تدمر العلاقات بين الزوجين وتثير بينهما النفور والاضطراب بسبب أن طباع الأزواج والزوجات تختلف من حالة إلى أخرى . وكذلك الأمزجة والرغبات والقدرات والظروف الحياتية برمتها،وقد تقبل امرأة تصرفات زوجها ولا تقبل تصرفات تملى عليها من آخرين . والممارسات الجنسية بين الزوجين ليس فيها قانونا يحكمها أو خطوات وتصرفات تتطلبها فهي نتاج المؤانسة والألفة والمودّة والحب بين الزوجين ومما يفسدها تدخل الآخرين فيها بالسلب أو الإيجاب .

- **أسباب خارجية** : وقد أشرنا إليها من قبل ولا داعي لتكرارها .

- **عوامل نفسية :** مثل مرور الزوج بضائقة مالية أو انشغاله بالعمل أو بالقلق على أبنائه الطلبة أو الغائبين أو مروره بحالة الاكتئاب والإحباط نتيجة تخطيه في الترقيات أو الحوافز والمكافآت أو تعرضه لاتهامات باطلة من الزوجة بالبخل أو العجز عن الكسب وكلها تزول آثارها بزوال السبب وتتطلب إلى جانب ذلك الشعور بالرضا والقناعة بما يكسب وبما ينفق والثقة في رحمة الله بنجاح المجدين من أبنائه وعودة الغائب المسافر وتفريج الكروب والهموم . وهي الثقة المرتبطة بقوة الإيمان واليقين وحسن الاستقامة والتوكل .

- **الخيانة الزوجية :** وهو اكتشاف الزوج خيانة زوجته له أو الشك في سلوكها مما يسبب له توتراً وعصبية ينجلي أثرها على علاقته بها جنسيا . والزوج الذي يتأكد من خيانة زوجته له أن يسرحها بمعروف ويفارقها ويطلقها إن لم يجد هناك بدّاً من الإصلاح بعد النصح والاستتابة . أما أن يمسكها ليهينها ويعذبها وينكل بها فإنه في كل الأحوال هو الخاسر راحته

واستقرار حياته ودينه لأن الله تعالى أمرنا بالمعاشـــرة بالمعروف أو التسريح بإحسان :

***وإذا طلقتم النساء فبلغـــهن أجلـــهن فامســكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعـــروف . ولا تمســكوهن ضِراراً لتعتدوا . ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفســـه . ولا تتخذوا آيات الله هزواً . واذكروا نعمة الله عليكـــم ومـــا أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به . واتقـــوا الله واعلموا أن الله بكل شيءٍ عليم [175].**

➢ **بلوغ المرأة سن اليأس :** أغلب النساء يظنـــون أنهن ببلوغ سن اليأس فقد انتهت حياتهن الزوجية وكذلك بعض الرجال . وهذه المرحلة تحـــدث فيـــها تغـــيّرات هرمونية وعضوية ونفسية مثلما حدث من قبـــل أثنـــاء البلوغ والمراهقة . وكما أن الرجل ببلوغه سن المعاش لا يعتبر أن العالم قد انتهى وأن عليه انتظار الموت فـــلا يعمل ولا يمارس حياته الطبيعية فإن المرأة تظن كذلـــك أن حياتها انتهت وأن رغبتها وشـــهوتها قـــد انطفـــأت وخمدت إلى الأبد . وهو ما يخالف الحقيقة . حيـــث أن

الحياة الزوجية المستقرة والتمتع الكامل قد لا يكـون إلا في هذه الفترة من حياة الزوجين بعد أن يشعر الزوجان أنهما قد أديا رسالتهما نحو الأبناء . وبانفعالات الزوجة وتوترها في فترة بلوغ سن اليأس قد يتحاشاها الزوج ويتجنبها وينفر منها فيصيبه (الزهق) والتوتر واعتزال الزوجة ويكون من أثر ذلك إصابته بالعجز المؤقت حتى يتجاوز تلك المرحلة بفهم ووعي ويتعامل مع زوجته بمزيج من الحنان والمودّة حتى تعود سيرتها الأولى وتشعر بأهميتها داخل الأسرة والحياة كلها واهتمام زوجها بها الذى لم يتغير .

- **العقم** : وهو يتمثل في عقم الزوج وحده أو عقم الزوجة أو الزوجين وهو كما سبق وأشرنا يحتاج إلى مزيد من التعامل الحكيم حتى تستقر الحياة الزوجية.والعقم - طبياً - ليس له أثر مباشر على النشاط الجنسي للزوجين على السواء إنما ما يصاحبه من آثار نفسية بمدى جدوى الممارسة هو الذى ينشأ عنه الإحباط والاكتئاب والعجز الجنسي . ولا حلّ طبياً للعقم الذى لم يستجب للعقاقير أو الجراحات وإنما الرضا بما قسمه الله

والتوكل على الله وصدق الإيمان هو العلاج والسبيل لتجاوز تلك المحنة إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا .

ولنتذكر كيف أن أبى الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) قد رزقه الله الأبناء على الكِبَر ومثله أيضاً زكريا (عليه السلام) وكذلك من النساء سارة وزوجة زكريا .

- **الاغتراب :** وهو اغتراب إما الزوج بسبب السفر الطويل أو العمل بعيدا عن بيت الأسرة أو السجن لقضاء عقوبة أو سفر الزوجة فى إعارة مثلا وما إلى ذلك فإن هذه الأمور تتسبب فى نوع من العجز الجنسي والعِنّة المؤقتة تزول بزوال السبب ولا يحتاج لعقاقير أو أدوية .

- **الدمامة وقبح شكل الزوجة :** ويكون ناتجا عن زواج الرجل بامرأة دميمة ولكنها ثرية مثلا أو متدينة أو ذات منصب وجاه . ورغبة فى أى من هذه العوامل والمميزات . ولكنه بعد فترة يقابل هذه ويرى تلك فينعى حظه لعدم الاقتران بذات المال والجمال فى ذات الوقت . وعدم القناعة والرضا يتسببان فى نوع من

النفور الذى يصاحبه العجز الجنسي الجزئي أو الكلي المؤقت . وقد تكون الزوجة متوسطة الجمال أو جميلة ولكن عدم اهتمامها برونقها وزينتها يؤديان إلى نفس الشعور بالقبح والدمامة ولا حرج أن تتزين المرأة لزوجها حتى ترضيه وتشبعه فلا ينظر إلى غيرها ولا يتمنى سواها . والزينة للزوج لا للأغراب (وهو ما يُعدّ تبرجاً جاهلياً).

- **المكيّفات والتدخين** : إدمان المكيفات ومداومة التدخين وتعاطى النرجيلة (الجوزة) والكحوليات قد يتسبب فى بادئ الأمر فى نشاط الزوج وحيويته ثم لا يلبث الأمر أن يتحول إلى الفتور والوهن والضعف الذى يشمل الجسد كله. وقد يناله الوهن والضعف الجنسي الذى يمكن معالجته بالامتناع عن تعاطى مثل هذه المكيّفات والخمور والمخدرات .

- **البدانة** : قد يتسبب إفراط الرجل فى الأكل فى بدانته بدرجة كبيرة وهو ما يعيقه فى ممارسة حياته الجنسية مع الزوجة بكفاءة مما يعرضه

بمضي الوقت إلى الخمول والكسل والضعف الذى ينـال من جسده كما ينال من حيويته وكفاءته ونشاطه الجنسي مع الزوجة .

- **الإفـــــراط** : الإفراط فى الممارسات الجنسية يتسبب منطقياً فى الضعف والوَهَن وحالة مـــن التعـوّد والآلية مما يفقد الشعور بالمتعـــة الجنســية المرتبطــة بالقناعة ورضا النفـــس والاعتـدال والمواءمــة مــع احتياجات الزوجة ورغباتها التى يجب أن تؤخـــذ فـــى الاعتبار .لأن المعاشرة الجنسية مـــا هـــى إلا مشـــاركة إيجابية من الزوجين لا يحق فيها أن يجور طــرف على الآخر . أو ينفى فيها طرف الطـــرف الآخـــر أو يهمله أو يخرجه من حساباته وكما سبق وأشـــرنا فـــإن العملية الجنسية لكى تكـــون طبيعيـــة دون مشـــاكل أو منغصات فإنه يتعين أن تكون الحياة الزوجية مستقرة لا تعانى من الشِقاق أو الخلاف أو الأنانيـــة أو الكبْــت أو الإحباط .. لأن المودّة والسكينة والحب أو الرحمة بيــن الزوجين هى من عوامل التمازج والتكامل والمؤانســـة والتصرفات الطبيعية الفطرية أساس التمـــاس الـــهناءة

والرضا والقناعة بما قدّره الله لكلا الجنسين من صفات وقدرات وطبائع إذا كان التنافر بينها موجوداً قبل الزواج فلا يحل ولا يحق أن يستمر بعد الزواج حيث تذوب كل هذه الفوارق والاختلافات ليحل محلها التكامل والاتحاد والتعاون فى بناء أسرة صالحة تكون نواة للمجتمع الصالح والأمة الصالحة كما أرادها الله لتعمر الأرض إلى قيام الساعة .

- الربط : وهو أمر شائع فى الريف والمناطق الشعبية ويُقصد به إصابة الزوج بالعجز الجنسي عن طريق السحر والشعوذة وعمل الأعمال (السفلية) المرتبطة بتسخير الجن . وهى أمور جدّ هزلية وأوهام وخرافات ليس لها أساس عقلى أو شرعى أو علم وتقوم على ترويج تلك الخرافات فئة من الناس تدعي وجود قدرات خاصة لديها لإحداث ذلك . ومن اتبع تلك الأوهام والخرافات وصدقها عمل بها فإنه آثم وكافر بما أنزله الله :

* من أتى كاهناً أو عرّافاً فقد كفر بما نُزِّل على محمد (أى القرآن الكريم) .

* وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون (يزينون) الناس السحر [176].

وبعد وفاة سليمان (عليه السلام) لم يعد هناك نبى ولا رسول ولا أى شخص يستطيع تسخير الجن أو يثبت ادعاءه بذلك :

* رب اغفر لي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهّاب [177] .

ودليل ذلك أن الكاهن أو العراف أو المشعوذ لو كان حقاً يستطيع تسخير الجن لجلب منفعة لانتفع بذلك هو فيصبح لديه المال أو الجاه أو السلطان . وإن كان يستطيع أن يؤذى غيره لكان الأعداء هم الأولَى بذلك الأذى . وإنما الأمر كله لا يعدو كونه أمراً نفسياً يؤثر به بعض الناس على الغير إيهاماً بأن لديهم قدرات

خارقة . أو يتعلل به الرجل المصاب بـــالعجز الجنســـي فيعزو عجزه إلى شيءٍ مجهول لا يستطيع تفسيره ويظن أنه متأثر بأعمال سحرية أو خلافه . وعلاجه من تلـــك الحالة هو البحث عن السبب الحقيقى وراء عجـــزه ثـــم التداوي منه (انظر ما سبق) بطريقة علمية والإنابة إلى الله .

وبعد ..

فإنه يتبين لنا الآن أن العجز الدائم أو المؤقـــت لـــه أسبابه وأيضاً له علاجه أما الاندفـــاع وراء المنشـــطات والمخدرات وغيرها بغرض الحصـــول علـــى قـــدرات جنسية خاصة أو خارقة للإنسان الطبيعى لهو أمر بـــالغ الخطورة يؤدى إلى نتائج وخيمة تصيب الشخص بعجـــز فعلى (قد يكون دائما) ولو بعد فـــترة مـــن الزمـــن . والعلاقات الجنسية الزوجية التي تتم فى إطارها الطبيعى السوي لهى أفضل السبل لاستمرار العلاقـــة الزوجيـــة لنهاية العمر فى حدود الاعتدال والوسطية و (الطبيعيـة)

التى أشرنا إليها من قبل والتى هى أساس ومناط الاستقرار النفسى والحياتى للزوجين وفى إطار المودّة والرحمة والسكينة .

* * * * *

﴿نعمة من عندنا . كذلك نجزى من شكر﴾ (178)

* * * * * * * *

الهوامش

الهوامش

[1]) سورة الذاريات : 56

[2]) سورة الكهف : 50

[3]) سورة ص : 71 – 78

[4]) سورة هود : 50 ، 61 ، 84 .

[5]) سورة يس : : 59 ، 60 .

[6]) النساء : 76

[7]) سورة النحل : 99 ، 100

[8]) سورة البقرة : 268

[9]) سورة النساء : 120

[10]) سورة الإسراء : 64 ، 65

[11]) سورة الروم : 20

[12]) سورة النساء : 1

[13])سورة المؤمنون : 12 – 14.

14) سورة النحل : 18
15) سورة فاطر : 7 ،2 28
16) سورة الروم : 22
17) سورة النجم : 43
18) سورة النبأ : 6 – 16
19) سورة عبس : 24 – 32
20) سورة المُلْك : 5.
21) سورة المُلْك : 15.
22) سورة الجاثية : 12 ، 13
23) سورة الكهف : 46
24) سورة الفرقان : 74.
25) سورة مريم : 4 - 6
26) سورة الصافات : 100 ، 101
27) سورة الحِجْر : 51 – 53
28) سورة طه : 120
29) سورة الأنعام : 165 .
30) سورة المدثر : 11 – 17
31) سورة الكهف : 34

[32] سورة آل عمران : 14

[33] سورة الأنفال : 28.

[34] سورة سبأ : 37 .

[35] سورة الشورى : 27

[36] سورة آل عمران : 178

[37] سورة القصص : 76

[38] سورة القصص : 81

[39] سورة الأعراف : 32

[40] سورة القصص : 77 .

[41] سورة القصص : 83 .

[42] سورة فُصِّلت : 53.

[43] سورة البقرة : 143

[44] سورة القصص : 77

[45] سورة القصص : 83 .

[46] سورة الأعراف : 31 .

[47] سورة البقرة : 222

[48] صحيح البخاري : كتاب النكاح

[49] سورة النساء : 21

50) صحيح البخاري : كتاب النكاح.

[51]) وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها من كتـــاب:أسـئلة مهمة لعموم الأمة للأستاذ أحمد عبـــد الله الجبـابى . وأيضا فى البيان والتبين للجاحظ برواية لا تخرج عـن نفس المضمون .

[52]) سورة النساء : 22 – 24

53) صحيح البخاري : كتاب النكاح .

[54]) صحيح البخار ومسلم : كتاب النكاح.

[55]) سورة الحجرات : 13

[56])صحيح البخاري: كتاب النكاح &جامع الترمذى : كتاب النكاح & سنن ابن ماجة .

57) سنن أبى داود .

[58]) رواه الشافعي فى مسنده (كتاب الأم)

[59]) سورة النساء : 3

[60])سورة البقرة : 185

[61]) سورة الحج : 78

[62]) سورة النساء : 3

[63]) سورة النساء : 129

64) سورة فاطر : 14 .

65) سورة البقرة : 216

66) سورة النساء : 11

67) سورة الأحزاب : 37

68) سورة الأحزاب : 36

69) سورة الأحزاب : 4 ، 5

70) سورة الأحزاب: 37 ، 38.

71) سورة الأحزاب :50

72) سورة الأحزاب : 50 - 52 .

73) سورة الأحزاب : 28 ، 29.

74) سورة التحريم : 4 ، 5

75) سورة الأحزاب : 33 ، 34 .

76) صحيح مسلم : كتاب الصلاة .

77) سورة الأحزاب : 6 .

78) سورة الأحزاب : 53.

79) سورة الروم : 21

80) سورة الزمر : 29

81) سورة النساء : 19.

82) سورة الجاثية : 13.

83) سورة الأنبياء : 35

84)سورة البقرة : 155

85) سورة الرعد :12

86) سورة المُلْك : 15.

87)سورة الكهف : 46.

88)سورة المُلْك : 2.

89) سورة الأنبياء : 34 ، 35

90) سورة النساء : 28

91) سورة الحج : 65

92) سورة البقرة : 156 ، 157

93) سورة البقرة : 216

94) سورة الزُمَر : 10

95) صحيح مسلم : كتاب الصبر .

96) صحيح مسلم والبخارى : كتاب الصبر .

97) جامع الترمذى : كتاب الصبر

98) سورة البقرة : 153.

99) سورة الكهف : 78 – 82

[100]) سورة النساء : 19
[101]) صحيح مسلم والبخارى : كتاب النكاح
[102]) سورة النساء : 34.
[103])صحيح البخارى : كتاب النكاح .
[104]) صحيح مسلم : باب النفقات.
[105]) سنن أبى داود : باب النفقات .
[106]) سورة الطلاق :7
[107]) جامع الترمذى : باب الفتن
[108]) سورة النور : 32 ، 33
[109]) سورة آل عمران : 26
[110]) سورة آل عمران : 140
[111]) سورة المؤمنون : 101
[112]) صحيح مسلم : كتاب النكاح .
[113]) صحيح مسلم : كتاب النكاح .
[114]) سورة المائدة : 90 ، 91
[115]) سورة الإسراء : 16 .
[116]) سورة المُلْك : 14
[117]) سورة البقرة : 185

118) صحيح البخارى ومسلم .

119) سورة الروم : 54

120) سورة الطلاق : 3

121) سورة النساء : 34

122) سورة البقرة : 282

123) سورة البقرة : 187

124) صحيح مسلم : باب حفظ السر

125) صحيح البخارى ومسلم : باب النهى عن وصف محاسن المرأة لرجل.

126) صحيح البخارى ومسلم : باب ستر العورات والنهى عن إشاعتها .

127) سورة النور : 19 .

128) صحيح مسلم : باب الوصية بالنساء .

129) صحيح البخارى ومسلم : باب الوصية بالنساء .

130) صحيح البخارى ومسلم : باب الوصية بالنساء .

131) صحيح البخارى : باب مايكره من ضرب النساء .

132) صحيح مسلم : باب الوصية بالنساء .

133) صحيح مسلم والبخارى : باب المراقبة .
134) جامع الترمذى : باب حرمات المسلمين .
135) صحيح مسلم : باب تحريم النظـــر إلـــى العـــورات وكشفها.
136) صحيح البخارى ومسلم : باب النكاح .
137) سورة النور : 26 -28.
138) سورة النور : 30،31
139) سورة النور : 58 ، 59
140) سورة الأحزاب : 55
141) سورة الأحزاب : 59
142) سنن أبى داود .
143) سورة النور : 2
144) جامع الترمذى
145) صحيح البخاري : حجبت النار بالشهوات
146) سورة الشورى : 27
147) سورة الإسراء : 16
148) صحيح مسلم : باب طرق الخير .
149) سورة النور . 33

150) جامع الترمذى : باب الوصية بالنساء .

151) سنن أبى داود : باب الوصية بالنساء .

152) سورة النحل 71.

153) سورة الزخرف : 32

154) سورة هود : 15 ، 16

155) سورة القصص : 81

156) سورة الإسراء : 103

157) سورة المسد : 1–3

158) صحيح مسلم : باب التواضع .

159) سورة الشورى : 49 ، 50

160) صحيح البخارى ومسلم : باب الوصية بالنساء .

161) صحيح البخارى : باب مايكره من ضرب النساء .

162) سورة البقرة : 223

163) سورة البقرة : 187

164) سورة الروم : 21

165) صحيح مسلم : باب حفظ السر .

166) صحيح البخارى : باب المتشبع بما لم ينل . وما ينهى من افتخار الضرة .

167) صحيح البخارى : باب ما يقول الرجل إذا أتى أهلـــه (زوجته)

168) صحيح البخاري : باب العزل . كتاب النكاح

169) صحيح البخاري : باب العزل

170) المصدر نفسه

171) سورة الإسراء : 32

172) سورة آل عمران : 40

173) صحيح البخارى : باب الخلع .

174) سورة الأعراف : 157.

175) سورة البقرة : 231

176) سورة البقرة : 102

177) سورة ص : 35 .

178) سورة القمر : 35

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفهـــرس

فهرس

صدر للمؤلف

رحلة ورحيل (مجموعة قصصية)	1994
ألوان الطيف (مجموعة قصصية)	1994
قسمتين (شعر)	2000
خليك بعيد	2000
شاورلى عليه	2000
بعد الربيع	2000
غسق (رواية)	2000
القدس بتنادى (شعر)	2000
بداية ونهاية دولة إسرائيل ط1	2000
	2000
الحروف المقطعة فى سور القرآن الكريم (المعنى والمغزى)	2002
الحقيقة والادعاء فى المسألة الإسرائيلية	2002
بداية ونهاية دولة إسرائيل ط2	2002
الفياجرا وأخواتها بين العلم والدين	2002

رقم الايداع بدار الكتب
2002 /13995
الترقيم الدولى :I.S.B.N
977 -244 -072 -5

دار هاجر للتصوير و الطباعة
بنها . المنطقة الصناعية - مساكن الرملة
ت : 013260046


Bibliotheca Alexandrina
0407214